ملامح تغير علاقات الحياة اليومية
دراسة ميدانية ببعض أحياء القاهرة التاريخية

عنان محمد علي*

ملخص

تهتم الدراسة برصد الحياة اليومية وملامح التغير بها من خـــلال منظومـــة العلاقات التي تتم عبر عدة مستويات، هي المجتمع المحلي، الحـــارة، الجيـــرة، والمسكن. على اعتبار أن علاقات الحياة اليومية لا تتم في فراغ، وإنما في حيز مكاني وزماني، ويتسع هذا الحيز ليشمل المجتمع المحلي، ثم يضيق شيئاً فشـــيئاً حتى يصل إلى داخل الوحدة السكنية.

وقد حاولت الدراسة عرض الأشكال المختلفة للحياة اليومية وما يرتبط بها من علاقات في الوقت الحالي من واقع الدراسة الميدانية، مع تقديم صورة لواقع الحياة اليومية في الماضي كلما أمكن ذلك، بهدف رصد ملامح التغير بها، وذلك مـــن خلال المصادر التاريخية، والدراسات التي اهتمت بالحياة الاجتماعية في فترات تاريخية سابقة.

* مدرس علم الاجتماع والأنثروبولوجي بكلية البنات جامعة عين شمس.

Features of Change in Everyday Life Relations
Field Study in Some Neighborhoods of Historic Cairo

Anan Mohamed Ali

Abstract

The study is interested in monitoring everyday life and changes of the features of the system through the relationships that take place across multiple levels; of the local community, the Alley, Neighborhood, and the house. In considering the relations of everyday life are not in a vacuum, But into spatial and temporal space, and is expanded space to include the community, then narrows gradually until it reaches into the residential unit.

The study tried to offer various forms of everyday life and associated relationships in the current time and the reality of the field study, to provide a picture of the reality of daily life in the past, whenever possible, in order to monitor the features of the change, Through historical sources, And the studies that focused on social life in earlier historical periods.

مقدمة:

يمر علم الاجتماع في وقتنا الراهن بمنعطف مثير للانتباه على الصعيدين النظري والمنهجي؛ ذلك أن عدداً من المؤلفات الحديثة ذات التأثير الكبير في حقل علم الاجتماع أخذت تولي اهتمامها لظواهر الحياة اليومية التي تبدو في ظاهر الأمر عادية أو ليس من المعتاد الالتفات إليها، ويؤكد ذلك على الوجود الاجتماعي كما يتبدى في الوقائع والأحداث الاجتماعية بأحجامها وأنواعها المختلفة، أي التركيز على السطح المرئي من المجتمع (Pioter Sztompka, 2008: 23. نقلاً عن محمد الجوهري، 2011: 5).

ويتبلور موضوع الدراسة الراهنة في محاولة التعرف على ملامح تغير الحياة اليومية من خلال منظومة العلاقات التي تتم عبر عدة مستويات هي المجتمع المحلي، الحارة، الجيرة، والمسكن. على اعتبار أن علاقات الحياة اليومية لا تتم في فراغ، وإنما في حيز مكاني وزماني، ويتسع هذا الحيز ليشمل المجتمع المحلي، ثم يضيق شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى داخل الوحدة السكنية.

ونظراً لطبيعة الحياة اليومية وما تحتويه من فترات خلال اليوم الواحد، الذي يبدأ من الاستيقاظ حتى النوم وما يقع بينهما من أوقات يرتبط كل منها بنشاط أو أكثر، ومواقف تفاعل موزعة عبر أماكن مختلفة. اهتمت الدراسة بعلاقات الحياة اليومية في أماكن العمل من ورش حرفية، ومحلات تجارية. هذا إلى جانب أماكن شغل أوقات الفراغ والتسلية والترفيه. سواء في نهاية اليوم – أي بعد فترات العمل– أو خلال اليوم، أو داخل المسكن وفي مختلف أماكن التفاعل داخل مجتمع البحث.

ولكي تكتمل الصورة بين الماضي والحاضر، فقد حاولت الباحثة عرض الأشكال المختلفة للحياة اليومية وما يرتبط بها من علاقات في الوقت الحالي من واقع الدراسة الميدانية، مع تقديم صورة لواقع الحياة اليومية في الماضي كلما أمكن ذلك، وخصوصاً المرتبطة بحياة منازل الأثرياء والخاصة – التي لم يعد لها وجود اليوم في القاهرة التاريخية – وذلك من خلال المصادر التاريخية، والدراسات التي اهتمت بالحياة الاجتماعية في فترات تاريخية سابقة.

وفي ظل التغيرات الاجتماعية والثقافية الراهنة التي يشهدها المجتمع المصري تبرز أهمية دراسة المناطق التقليدية والتاريخية التي تعد شاهداً على مراحل تاريخية متعاقبة مر بها المجتمع المصري. ويرى المؤرخون الاجتماعيون والمهتمون برصد تاريخ مصر الاجتماعي أن هذه المناطق بما تحتويه من تراث تاريخي قد دمغت الحياة اليومية بطابع خاص استمر تأثيره في ملامح الحياة اليومية

المعاصرة للمجتمع المصري بشكل عام وساكني هذه المناطق بشكل خاص.

وتهدف الدراسة إلى الكشف عن ملامح التغير في علاقات الحياة اليومية ببعض الأحياء التقليدية بمدينة القاهرة التاريخية، التي تحمل في طياتها العديد من الراقات الحضارية والتاريخية، مع الأخذ في الاعتبار الأبعاد الثقافية والطبقية والتغيرات الاجتماعية التي لحقت بالمجتمع عبر مراحله التاريخية.

بعض الاتجاهات النظرية في دراسة الحياة اليومية:

قد تم تمهيد الطريق المؤدي للدراسة الكيفية للحياة اليومية على يد ثلاث نزعات فكرية ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين. وقد انبثقت النزعة الأولى من خلال النقد الذي وجه إلى الأنساق السوسيولوجية المجردة، الذي كانت تمثله في ذلك الوقت أعمال تالكوت بارسونز Talcott Parsons من الفلسفة البنيوية الوظيفية(J. Alexander, B. Giensen, 2006: 32). وقد أدى ذلك النقد إلى ظهور ثلاثة توجهات هي: تحول ذو طابع ذاتي أو شخصي نحو دراسة النوايا، والدوافع، والأسباب الكامنة وراء الأفعال الاجتماعية. وتحول تجاه الاهتمام بالفعل يسعى إلى دراسة الفاعلين الاجتماعيين، ودراسة الطرق التي يتبعونها في خلق وإنشاء الأبنية الاجتماعية، والمؤسسات، والمنظمات، إلى آخره. وأخيراً تحول ثقافي تجاه الاهتمام بدراسة الأنسجة الخفية التي ترتكز عليها المعاني، والقواعد، والقيم، والمعايير، والمسلمات، والطبائع الفردية اللصيقة بالفرد التي تنظم السلوك البشري(محمد الجوهري، 2011: 14). وكان أهم المؤلفين الذين قدر لهم أن يؤسسوا هذه الاتجاهات الجديدة في البحث السوسيولوجي: إرفينج جوفمان Erving Goffman ونظريته عن الفن المسرحي(E. Goffman, 1997)، وهارولد جارفنكلHarold Gafinkel ونظريته في منهجية الجماعة (الإثنوميثودولوجيا) (H. Garfinkel, 2002)، وألفرد شوتزAlfred Schutz ، وبيتر برجر Peter Berger، وتوماس لوكمان Thomas Lukman واتجاههم الظاهرتي (الفينومينولوجي)(T. Bennett, D. Watson, 2002).

وقد اهتمت الدراسة الراهنة بالتوجهات الفكرية السابقة الخاصة بالنزعة الفكرية الأولى في دراسة الحياة اليومية على النحو التالي:

الاتجاه الإثنوميثودلوجي Ethnomethodology أو المنهجية الشعبية، يذهب البعض إلى أنه اتجاه يصعب تمييزه عن الظاهراتية فيما يخص سوسيولوجيا الحياة اليومية(H. Garfinkel, 2002: 26). ويقصد بالمنهجية الشعبية "دراسة مجموعة

المعارف النظرية والأساليب والرؤى التي بواسطتها يفهم أعضاء المجتمع العاديين الظروف التي يجدون أنفسهم فيها ويدركونها ويتصرفون حيالها" (مصطفي خلف، 2002: 292).

وتنظر الإثنوميثودولجيا إلى الحياة اليومية على أنها أشبه بمشروع عملي يشارك فيه كل الأفراد الفاعلين في هذه الحياة، وتعمل كل الأنشطة العملية التي يقوم بها كل عضو على إنجاز هذه الحياة. والحياة اليومية ليست ضرباً من ضروب العبث وليست أنشطة عشوائية، ولكنها محاولات من جانب الأفراد لإقامة هذا المشروع العملي الذي يسمي الحياة الاجتماعية. بعبارة أخرى فإن المنهجية الشعبية تهتم بوصف الحياة الاجتماعية من خلال المعاني الذاتية التي يضفيها الأفراد عليها (أحمد زايد، 1992: 60).

وترى الإثنوميثودولجيا أن أهداف الفاعلين الاجتماعيين هي المحور، وتدرس كيف ينشأ الكلام والتنظيم الاجتماعي من التفاعل الاجتماعي، والذي يعتبر العملية التي يقوم الفاعلون من خلالها بتحديد أهدافهم والسعي وراءها وتحقيقها. وهكذا يدرس هذا الميدان المناهج التي عن طريقها يصل الفاعلون إلى فهم وإنتاج أبنية التفاعل الاجتماعي(H. Garfinkel, 2002: 33).

تمثل إسهامات أنصار **الاتجاه الفينومينولوجي *Phenomenology*** أو الظاهراتي ركيزة أساسية في تطوير سوسيولوجيا الحياة اليومية، حيث يوجه هذا الاتجاه جل اهتمامه إلى دراسة عالم الحياة اليومية، ويعارض كثير من القضايا التي يقوم عليها علم الاجتماع الكلاسيكي (T. Bennett, D. Watson, 2002: 46).

ولا يعيش الإنسان في عالم واحد بل عوالم تتدرج عبر الزمان والمكان، وتتوزع هذه العوالم عبر المكان وفقاً لحركة الفاعل اليومية، حيث تبدأ بعالمه الخاص الذي يعرف عنه كل شيء وتمتد إلى عبر الأمكنة التي يتحرك فيها الفرد. كما تتوزع هذه العوامل زمنياً، حيث تبدأ من العالم الفعلي الحالي الذي يعيش فيه الفاعل، وتمتد إلى عالم الأسلاف والأجداد الذي يعيش معنا ويحكمنا دون أن نتحكم فيه، وإلى عالم المستقبل الذي يمكن أن تؤثر عليه ولكنه لا يؤثر علينا (أحمد زايد، 1992: 59).

ومن ثَمَّ فإن مفهوم الوجود الاجتماعي يحمل الرسالة التي تقول: إن العالم الاجتماعي ليس إلا مجالاً متبادلاً بين الأشخاص، أي فضاء متبادل بين البشر، مملوء بالمواجهات، والتفاعلات، والعلاقات، والقيود الاجتماعية، والروابط، التي تشمل ذلك الطيف الكامل بدءاً بالحب والحميمية وانتهاء بالمصالح والتعاقدات، وأن كل ذلك

لا يحدث في أي مجال آخر إلا في خبرات حياتنا اليومية؛ لذلك فإن الحياة اليومية تبدو كأنها المجال الذي يعبر فيه الوجود الاجتماعي عن نفسه؛ وعليه فإن المجتمع لا يوجد خارج أنفسنا إنما يوجد في داخلنا (محمد الجوهري، 2011: 17، 18).

ومن كل ما سبق فإن الدراسة الراهنة سوف تستفيد من الاتجاهات النظرية السابقة في تحليل علاقات الحياة اليومية وما طرأ عليها من تغيرات، في إطار فهم واقع الحياة اليومية في الأحياء التقليدية بمنطقة القاهرة التاريخية.

المفاهيم الإجرائية للدراسة:

التغير Change:

وتتبنى الدراسة تعريف التغير الاجتماعي بأنه يشير إلى كافة أشكال التحول الجزئية أو الكلية التي تطرأ على البناء الاجتماعي الثقافي لمجتمع من المجتمعات، والتي تحدث عبر سلسلة متصلة من العمليات المستمرة عبر الزمن، ويكون لها نتائج بعيدة المدى على المستويات المختلفة للبناء الاجتماعي (أحمد زايد، 2000: 21).

الحياة اليومية Everyday Life:

ويقصد بالحياة اليومية في الدراسة الحالية مواقف التفاعل المنتظمة المتكررة أو الدائمة، والعابرة للأفراد والجماعات على امتداد اليوم ومدار العام، والتي تحمل في طياتها الأنشطة المختلفة والأماكن المتنوعة تبعاً لنشاط الفرد ودائرة علاقاته وتعدد أدواره. وتهتم الدراسة اهتماماً خاصاً بالأماكن اليومية سواء كانت أماكن السكن أو العمل أو الترفيه، والتي تنطلق منها أشكال التفاعل، وينعكس من خلالها الانتماءات الطبقية للأفراد وأشكال إعادة إنتاج التراث في الحياة اليومية من عادات وتقاليد ومعتقدات ومعارف شعبية.

مناهج وأدوات جمع البيانات:

استعانت الباحثة بمجموعة من المناهج والأدوات البحثية في إطار جمع المادة وتحليلها، وتكوين صورة شاملة لموضوع الدراسة، وفيما يلي عرض للمناهج والأدوات التي استعانت بها الباحثة:

أ.المنهج الأنثروبولوجي:

يتميز المنهج الأنثروبولوجي بإطالة الفترات الزمنية للدراسة الميدانية، حتى تتاح للباحث الأنثروبولوجي فرصة الاندماج في الحياة اليومية لأبناء مجتمع البحث. وبالتالي تسمح للباحث بالتوصل إلى فهم كامل للمعاني الثقافية، والإحاطة بالبناء الاجتماعي للجماعة وما يسوده من علاقات وظيفية متداخلة ومتبادلة بين العادات والمعتقدات التي قد تبدو للوهلة الأولى غير مترابطة ومستعصية على

التفسير (شارلوت سيمور، 1998: 650).

وقد اعتمدت الباحثة على المنهج الأنثروبولوجي وأدواته في جمع المادة، وهي: الملاحظة، والمقابلة، وطريقة دراسة الحالة، واستخدام دليل جمع المادة، والإخباريون.

ونوضح فيما يلي الكيفية التي استخدمت بها كل أداة من الأدوات المنهجية الأنثروبولوجية السابقة:

1- الملاحظة:

استعانت الباحثة بالملاحظة في مواقف متعددة ومن أهمها، ملاحظة مظاهر التفاعل الاجتماعي داخل مجتمع البحث، وملاحظة أنشطة الحياة اليومية المختلفة للأفراد داخل المجتمع. وقد أمكن من خلال الملاحظة الوقوف على الكثير من تفاصيل الحياة اليومية دون الحاجة إلى السؤال عن كل شيء.

وتعتبر الملاحظة موجهة للأسئلة، من خلال الاستفسار عن بعض الأمور التي تُلاحظ في الميدان، وقد استطاعت الباحثة عن طريق الملاحظة ملاحظة التكوين الداخلي للعمارة بأنماطها المختلفة ومحتوياتها الداخلية، ومدى ملاءمة مساحة الوحدة لعدد الأفراد الموجودين داخلها سواء بهدف الإقامة أو العمل تبعاً للوظيفة النفعية للمنشأ، وتأثير ذلك على التفاعل الاجتماعي بين الأفراد بداخله. وكذلك ملاحظة أشكال التكيف مع المساحة والتكوين الداخلي والذي كان واضحاً في النمط السكني، وكذلك ملاحظة المظاهر الدالة على الأبعاد الطبقية للأفراد داخل الوحدة السكنية. كما كان للملاحظة دور كبير في الدراسة الإيكولوجية، فقد اعتمدت عليها الباحثة في وصف الشوارع والحارات.

وقد اعتمدت الباحثة على منهجية في إجراء الملاحظة، وهي ملاحظة الحياة اليومية على مدار اليوم الواحد، وكذلك ملاحظة إيقاع العمل وحركة التفاعلات والعلاقات اليومية داخل المجتمع المحلي والحارة. ولم تستقل هذه المنهجية بذاتها فقد جاءت في بعض الأحيان مختلطة بالمقابلة.

2- المقابلة:

اعتمدت الباحثة على المقابلة في جمع بيانات الدليل وعمل دراسة الحالة، فمن خلالها أمكن توجيه الأسئلة وجمع بيانات مفصلة، وكذلك ملاحظة سلوك المبحوثين أثناء إجراء المقابلة. ولم يقتصر إجراء المقابلات على الأفراد المقيمين في مجتمع البحث – عينة الدراسة الميدانية – لجمع مادة الدليل، ولكن قامت الباحثة بإجراء العديد من المقابلات مع أصحاب المحلات التجارية والبازارات، وكذلك العاملين

في الورش الحرفية بمجتمع الدراسة. وأيضاً تم إجراء مقابلات مع الإخباريين من كبار السن، وقد أمكن عن طريق هذه المقابلات جمع مادة عن ملامح تغير الحياة اليومية بالمنطقة.

وقد قامت الباحثة بإجراء المقابلات في أيام محددة من الأسبوع تبعاً لحالات الدراسة، والأيام الأخرى كانت تستثمر في الملاحظة والتجول في المجتمع المحلي ومعرفة إيقاع يوم العمل داخله. فعلى سبيل المثال كان يصعب إجراء المقابلات في أيام الجمعة والسبت بالنسبة لبعض الأسر من حالات الدراسة، فهذه الأيام تمثل أيام الإجازة الأسبوعية لرب الأسرة وقد أبدت بعض الحالات عدم رغبتها في إجراء المقابلة في تلك الأيام. وقد حاولت الباحثة إجراء بعض المقابلات في هذه الأيام بهدف ملاحظة إيقاع يوم الإجازة وأشكال التفاعل به، ولكن تبعا لرغبة حالات الدراسة. وفي بعض الحالات الأخرى مثل الورش والمحلات التجارية كان يمثل يوم الأحد يوم الإجازة الأسبوعية، ويوم الإثنين هو أول أيام الأسبوع وفيه يقسم العمل ويعد لبقية الأيام. ويلاحظ من ذلك تنوع أيام إجراء المقابلات تبعاً لإيقاع الحياة اليومية لحالات الدراسة.

3- طريقة دارسة الحالة:

وفي إطار هذه الدراسة تمت الاستعانة بهذه الطريقة في إجراء دراسة الحالة لمنطقة القاهرة التاريخية – مجتمع الدراسة – وذلك من خلال تتبع نشأة المنطقة والتغيرات الجوهرية التي تعرضت لها، وانعكاساتها على حياة أفراد المجتمع.

ونظراً لطبيعة منطقة الدراسة؛ حيث تمثل الحارة الوحدة التخطيطية التي تضم العمارة السكنية، والتي تحمل بين جوانبها الحياة اليومية لساكنيها؛ لذلك فقد اشتملت حالات الدراسة على دراسة حالة للحارة (حارة درب قرمز بمنطقة الجمالية نموذجاً). وفي إطار تنوع العمارة السكنية بمنطقة الدراسة بين بيوت أثرية تمثل بيوت الخاصة في فترات تاريخية سابقة، تعكس عمارتها الحياة اليومية في تلك الفترة، وبين بيوت تمثل سكن الشرائح الوسطى والدنيا بالمنطقة حالياً؛ فقد شملت حالات الدراسة كلاً من بيت السحيمي وبيت الخرزاتي كنموذجين لنمط البيوت الأثرية (سكن الخاصة)، وفي إطار اهتمام الدراسة بالحياة اليومية لسكان عمائر القاهرة الفاطمية شملت حالات الدراسة أربعة عشر مسكناً موزعة على مجتمعي الدراسة – الجمالية والدرب الأحمر – تمثل بيوت الشرائح الوسطى والدنيا (سكن العامة) حالياً.

4- دليل جمع المادة:

وإلى جانب الأساليب والأدوات السابقة استعانت الباحثة بدليل مفتوح لجمع البيانات، ومما هو جدير بالذكر أن هذا الدليل كان بمثابة مرشد موجه لعملية جمع

البيانات. وقد تم جمع مادة الدليل أثناء إجراء المقابلات. ولتحقيق ذلك قامت الباحثة بتصميم جدول للمقابلات حتى يتسنى لها زيارة حالات الدراسة في أيام مختلفة، وخلال فترات مختلفة من اليوم، حتى تتمكن من ملاحظة إيقاع الحياة اليومية أثناء فترة المقابلة. وفي إطار ذلك كان يتم تحديد موضوعات المقابلة مسبقا، وفي حالة عدم تحقيق جميع أهداف المقابلة كان يتم تسجيل البيانات ووضع ملاحظات بما لم يستكمل من البيانات حتى يمكن استكماله في المقابلة القادمة، وهكذا حتى تم الانتهاء من جمع البيانات الخاصة بموضوعات الدليل لجميع الحالات. وكان للملاحظة دور كبير في جمع بعض عناصر الدليل أثناء تواجد الباحثة في مجتمع الدراسة، مثل ملاحظة أشكال العلاقات بين الجيران، وأصحاب المحلات التجارية، والعاملين في الورش المختلفة بالمنطقة.

5- الإخباريون:

شكل الإخباريون مصدراً مهما للحصول على البيانات، وقد أمكن الاستعانة بالإخباريين للتأكد من صحة بعض البيانات التي جمعت بوسائل منهجية أخرى، وفي تفسير بعض العناصر والموضوعات التي يتعذر إدراك أبعادها بالملاحظة وحدها.

وقد استعانت الباحثة بالإخباريين في التعرف على مجتمع البحث وخصائصه وكيفية التجول داخله، ومعرفة تاريخه والتغير الذي طرأ عليه، والتغيرات التي لحقت بالحياة اليومية. كما كان للإخباريين من أصحاب المحلات والبازارات دور كبير في إثراء المادة الميدانية الخاصة بإيقاع اليوم في الشوارع والحارات. وقد روعي في الإخباريين أن يكونوا من كبار السن حتى تثري بياناتهم دراسة التغير والبعد التاريخي للحياة اليومية في مجتمع البحث.

ب. المنهج التاريخي:

يساعد المنهج التاريخي على رصد البعد التاريخي للظاهرة، وذلك انطلاقا من أن الدراسات التي تخلو من المضمون التاريخي للظاهرة تميل إلى أن تكون دراسات استاتيكية محدودة النطاق، تجري في وسط اجتماعي محدود، ولا تتاح فيها الفرصة لفهم التفاعل بين البناءات الاجتماعية الصغرى والأسباب العامة للظاهرة. وفي تلك الحالة يصبح من الصعوبة فهم الظاهرة في وضعها الاستاتيكي دون الرجوع باستمرار إلى المادة التاريخية (محمد الجوهري، 2001: 21).

وقد استعانت الباحثة بالمنهج التاريخي في تتبع أهم ملامح تغير علاقات الحياة اليومية. حيث حاولت الباحثة الاستعانة بالمصادر والدراسات التاريخية في رصد التغيرات التي لحقت بها عبر الفترات التاريخية المتعاقبة، والتي تشير إلى الحياة

الاجتماعية في تلك الفترة. هذا بالإضافة إلى أهمية الاعتماد على الإخباريين من كبار السن في المجتمع كمصدر أساسي للحصول على البيانات التاريخية الحديثة نسبياً؛ انطلاقاً من أهمية التراث الشفاهي الذي يشكل جزءاً من المعرفة الثقافية للمجتمع، أو الثقافة التقليدية التي تتناقل بين الأجيال شفاهة، وليس بالشكل المكتوب. ويعد التراث الشفاهي مصدراً للمعلومات حول الأنساق الثقافية والاجتماعية المعاصرة (شارلوت سيمور، 1998: 243. محمد الجوهري، 2002: 3).

ج. المنهج الأيكولوجي:

في إطار إجراء الدراسة الميدانية استعانت الباحثة بالمنهج الأيكولوجي، الذي يساعد على إظهار الطبيعة الخاصة بمجتمع الدراسة، حيث يهتم البحث الأيكولوجي في علم الاجتماع بالخصائص الفيزيقية لبيئة معينة في تأثيره على السلوك الاجتماعي وتأثرها بهذا السلوك، أي أنه يهتم بدراسة العلاقة بين الإنسان والبيئة.

وقد شكل المنهج الأيكولوجي أحد المداخل الأساسية في الدراسة الميدانية؛ وذلك بهدف الكشف عن الخصائص الفيزيقية لبيئة مجتمع البحث، وإيضاح ما لهذه الخصائص من أثر على علاقات الحياة اليومية؛ فالتجاور المكاني للمباني في منطقة البحث وضيق شوارعها وحاراتها وتلاصق بيوتها كان له أغلب الأثر على الحياة اليومية وتفاعلاتها.

مجتمع الدراسة ومبررات اختياره:

لقد تم اختيار كلٍّ من حي الجمالية وحي الدرب الأحمر كمجتمعات للدراسة الميدانية، وهي أحد أحياء منطقة القاهرة التاريخية التي تظهر بها السمات التقليدية الشعبية التي تميزها وتكسبها خصوصية تظهر في طبيعة العلاقات بين أفرادها، وتتنوع بها مجالات المخالطة البشرية التي تزيد من التفاعلات اليومية.

أ. الجمالية:

تعد الجمالية من أقدم أقسام القاهرة وأحد أكثر أحيائها عراقة، فهي تضم العديد من المنشآت الدينية والأثرية. ويتمتع حي الجمالية بشهرة عالمية، فهو مجمع تراث القاهرة القديم والحديث منذ تأسيس المعز لقاهرته، ففيه الأزهر وجامع الحاكم والجامع الأقمر والمشهد الحسيني، وفيه أسوار القاهرة وبواباتها وفيه بقايا المدارس الأيوبية، فضلا عن مساجد المماليك ومدارسهم، وفيه كذلك خان الخليلي والصاغة والنحاسين(Meinecke, M., 1980: 32).

ويضم قسم الجمالية ثمانية عشرة شياخة، وتحتوي على منطقة الحسين

باعتبارها من أهم المناطق الدينية والتجارية، وأيضاً منطقة " خان الخليلي" مركز التجارة السياحية ذات الطابع المميز، بالإضافة إلى شارع المعز والجمالية التاريخيين بمجموعاتهما الأثرية والتجارية (مركز المعلومات بحي وسط القاهرة، 2003).

ب. الدرب الأحمر:

سمي هذا الحي بالدرب الأحمر نسبة "لذوي الوجوه الحمر"، فهناك قول أن عدداً كبيراً من جنود الروم انضم إلى جيش جوهر الصقلي لفتح مصر، وأنه لكثرتهم لم تكفهم حارة واحدة ولما انتشروا على جانبي الدرب سمي هذا الدرب بالدرب الأحمر نسبة للروم ذوي الوجوه الحمر. وقد يؤيد ذلك ما ذكره المقريزي حيث قال: "من خطط فسطاط مصر خطط الحمروات" (تقي الدين المقريزي، 1324هـ: 79). أما عن نشأة حي الدرب الأحمر، كانت نشأته في البدايات الأولى لنشأة مدينة القاهرة، عندما أسس جوهر الصقلي عام 359هـ الموافق 970م مدينة القاهرة، وبنى حولها سوراً من اللبن. وكان حي الدرب الأحمر يقع جزء كبير منه داخل أسوار القاهرة المعزية – ثلثها الجنوبي على وجه التقريب – ويتممه جزء آخر كان يطلق عليه قديماً ظاهر القاهرة، ويفصل بينهما السور الذي يحدد موقعه باب زويلة – المتولي – الذي لا يزال قائماً حتى الأن، وقد فتح جوهر الصقلي ثماني بوابات في هذه الأسوار(سعاد ماهر، 1962: 27).

يعتبر حي الدرب الأحمر نموذجاً للحي الشعبي في مصر، وهو يتبع إدارياً حي وسط القاهرة، ويقع حي الدرب الأحمر بين حدود أربع أقسام إدارية هي قسم الخليفة شمالاً، وشارع الأزهر جنوباً، وعزبة ناصر وجبانات المجاورين شرقاً، وقسم الجمالية غرباً. ويضم حي الدرب الأحمر 14 شياخة (حي وسط القاهرة، 2003).

الدراسات السابقة:

إن استعراض التراث البحثي لموضوع الحياة اليومية على المستوى المحلي يكشف عن قلة الدراسات التي تناولت هذه القضية. وفي هذا الإطار يجدر الإشارة إلى بعض الدراسات الرائدة التي اهتمت بموضوع الحياة اليومية.

دراسة أحمد زايد، خطاب الحياة اليومية في المجتمع المصري، 1992. اهتمت هذه الدراسة بمحاولة البحث في خطاب الحياة اليومية في مصر من حيث طبيعة موضوعاته، وخصائصه، ولغته وعلاقته بالخطاب الرسمي.

دراسة عبد الباسط عبد المعطي، الحياة اليومية على رصيف شارع مصري، 1993. تدور هذه الدراسة حول أبعاد التبعية وخاصة التبعية الثقافية، مظاهرها،

وآلياتها ونتائجها. وهي دراسة عينية ملموسة تقدم لنا تحليلاً واقعياً ومباشراً ودقيقاً عن الحياة اليومية على رصيف شارع مصري.

دراسة علياء شكري وآخرون، الحياة اليومية لفقراء المدينة، 1995. اهتمت الدراسة بتقديم صورة عن واقع حياة الفقراء المصريين في الثمانينيات من القرن الماضي، في ظل سياسات الإصلاح وكيفية تمرس الفقراء في ظـــل الظـــروف الاقتصادية المتدنية على حل مشكلات إشباع حاجاتهم الأساسية من مأوى ومأكل وملبس. وكيف يفعلون ذلك من خلال البحث عن بدائل ثقافية من أجل التكيف مع ظروف واقعهم.

دراسة سامية قدري، الحياة اليومية للشباب في المدن الجديدة، 2006م. اهتمت الدراسة بتقديم الحياة اليومية كدراما اجتماعية Social Drama من خلال تقـــديم مسيرة الحياة اليومية خلال يوم واحد في حياة الشاب في المدن الجديدة، وبعبارة أخرى مشهد يومي يعكس إيقاع الحياة اليومية خلال 24 ساعة.

وقد اهتمت الدراسة الراهنة ببعض الدراسات التي ركزت على بعض الجوانب الاجتماعية، مثل العلاقات والعادات والتقاليد. ومنها:

دراسة نوال المسيري، مفهوم الحارة، 1980م. اهتمت الدراسة بإيضاح كيف ترتبط الحارة – كمفهوم أيكولوجي وتاريخي – بالوحدات الإدارية والاجتماعية، والثقافية في المدينة ككل. فالحارة تعتبر – من الناحية الديموجرافية – من أشـــد الوحدات الإدارية كثافة في المدينة. أما من الناحية الاجتماعية والثقافية فســـكان الحارة ينتمون إلى أشد القطاعات تقليدية في القاهرة.

دراسة سعاد عثمان، الجيرة، 1985م. وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف على أنماط العلاقات الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي في مجتمع محلي حضري على مستوى الجيرة. وقد انطلقت الدراسة الحالية من نتائج دراسة سعاد عثمان، حيث أكدت دراستها على أن علاقات الجيرة مازالت باقية في المجتمع المحلي الشعبي التقليدي. وقد لعبت أيكولوجية المكان وعمالة المرأة والمهنة كمتغيرات حتمية دوراً حيوياً في فهم الجيرة كواقع. وفي تشكيل العلاقات داخل الأسرة وفي نطاق الجيرة والمجتمع الخارجي.

اهتمت الدراسة ببعض الدراسات التاريخية التـــي قـــدمت صـــورة للحيـــاة الاجتماعية في فترات تاريخية سابقة بهدف محاولة رصد ملامح التغير في علاقات الحياة اليومية، ومنها: دراسة نللي حنا، بيوت القاهرة، 1993م. تعد دراسة نللي حنا عن بيوت القاهرة واحدة من الدراسات التاريخية المهمة والقليلة، التي اهتمت

بتطور العمارة السكنية بمدينة القاهرة من منظور تاريخي اجتماعي. وقد كان لها بالغ الأثر في توضيح تأثير عمارة المسكن على حياة الأفراد الاجتماعية في فترة تاريخية معينة .

دراسة نجوى كيرة، حياة العامة في مصر في العصر الفاطمي، 2004م. تهتم هذه الدراسة بحياة العامة في العصر الفاطمي، وتتناول بالمعالجة والتحليل توضيح دور العامة في تطور المجتمع في العصر الفاطمي، إلى جانب تناول حياتهم اجتماعياً ودينياً، فضلاً عن الحياة الفكرية لهؤلاء العامة.

نتائج الدراسة الميدانية:

أولاً – العلاقات اليومية:

لقد تم تناول العلاقات اليومية عبر مستويات مختلفة تشمل المجتمع المحلي، والحارة، والجيرة، والمسكن، وذلك على اعتبار أن علاقات الحياة اليومية لا تتم في فراغ، وإنما في حيز مكاني وزماني. يتسع هذا الحيز ليشمل المجتمع المحلي، ثم يضيق شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى الوحدة السكنية (الشقة)، بل ويقتصر هذا الحيز أحياناً على حجرة واحدة من حجرات الوحدة السكنية – كما في حالة السكن الشرك–.

والجدير بالذكر أن تناول علاقات الحياة اليومية على هذه المستويات المتدرجة قد يأتي متداخلاً، حيث لا يمكن الفصل بين هذه المستويات في الواقع؛ فالمسكن هو العنصر الأساسي في الجيرة – سواء كانت جيرة رأسية أو أفقية –، والجيرة بدورها مكون أساسي من مكونات الحارة، والحارة وفقاً لهذا التسلسل تعد عنصراً جوهرياً في مكونات المجتمع المحلي. هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن العلاقة اليومية بين أفراد الأسرة الواحدة تؤثر على علاقة تلك الأسر بجيرانها، سواء داخل المسكن الواحد، أو المساكن المتجاورة، وتؤثر تلك العلاقة بدورها على العلاقة بين باقي السكان داخل الحارة الواحدة، وينعكس كل ذلك على المجتمع المحلي سواء بشكل مباشر أو غير مباشر.

وسوف أبدأ بتناول تلك العلاقات على مستوى المجتمع المحلي، ثم في إطار الحارة، ثم نتناول العلاقة بين الأسر وبعضها، وبين أفراد الأسرة الواحدة.

1. العلاقات على مستوى المجتمع المحلي:

يقصد بالمجتمع المحلي، مجتمع البحث الحالي الذي يضم منطقتي الجمالية والدرب الأحمر. وقد أوضحت الدراسة الميدانية كيف ترتبط الحياة اليومية في

إطار المجتمع المحلي بمنظومة من العلاقات التي تشكل جانباً مهماً من حياة ساكنيه اليومية التي لا تتوقف عند حدود البيت أو الحارة. **وقد تم تناولها عبر عدة مجالات وهي:**

- **العمل:**

تشكل علاقات العمل التي تتم في إطار المجتمع المحلي البيئة الاجتماعية التي تضم المنظومة الاقتصادية، فأفراد المجتمع لا يمكنهم القيام بالعمل إلا إذا انتظموا في علاقات اجتماعية.

ولأن مجتمع البحث يغلب عليه الطابع الحرفي وتنتشر به العديد من الورش المتخصصة في الحرف المختلفة*؛ فقد تم التركيز على العلاقات بين العمال داخل الورشة الواحدة، وبينهم وبين العمال في الورش المجاورة، وبين أصحاب الورش والعمال، وأصحاب الورش وبعضهم البعض.

وقد ظهر واضحا من خلال الدراسة الميدانية أن مشاركة الحرفيين لبعضهم البعض تخلق بينهم العلاقات والحوار، وعادة ما يكون حول العمل وإنجازه، خاصة في حالة تواجد صاحب الورشة، ولكن في وقت الراحة فإنهم يتحدثون في العديد من الموضوعات، عما يحدث في الربع والعاملين في الورش المجاورة، وحياتهم الاجتماعية. وقد لاحظت الباحثة أنهم يهتمون جداً بأخبار الحوادث، سواء ما يسمعون عنها في منطقة الدراسة أو ما ينشر منها في الصحف، فيحكونها لبعض ويتناقشون فيها. ويساعد التجانس بين الحرفيين في الورشة نفسها على هذا النوع من العلاقات.

وبوجه عام يحرص أصحاب الورش على إقامة علاقات جيدة بينهم وبين الورش المجاورة لهم، وفي بعض الأحيان تتحول إلى صداقات. وتظهر هذه العلاقات في عدة أشكال، منها قضاء وقت الراحة معاً بالجلوس أمام مداخل الورش، وفي فترة المساء بعد انتهاء العمل ربما تمتد إلى الجلوس على المقهى، وتبادل الحديث معاً. وفي أثناء فترة العمل يمكن استعارة بعض الأدوات الخاصة بالعمل وإرجاعها بعد الانتهاء منه، كما يمكن الاستعانة بأحد صبية الورشة المجاورة في إتمام بعض الأعمال البسيطة.

ويوجد شكل آخر من أشكال العلاقات لاحظته الباحثة بين الورش الموجودة في

* كان للباحثة فترة تعايش طويلة في منطقة الدراسة أثناء دراستها للماجستير عن الحرف والصناعات التقليدية بمنطقة خان الخليلي بالجمالية، 2003.

ربع واحد، وتأخذ هذه العلاقات طابعاً اقتصادياً، حيث تعتمد بعض الورش على ورش أخرى للقيام ببعض الأعمال، التي تدخل في الإنتاج.

وهكذا نرى كيف تتنوع العلاقات بين الورش، إما تبعًا لمدى الاعتماد على بعضها البعض في عمليات الإنتاج، أو في العلاقات الاجتماعية التي تقوم على حسن الجوار والمعرفة الطيبة. وقد كان ذلك هو حال العلاقة بين الحرفيين والتجار قديما؛ فقد كانت علاقة وثيقة، فالمؤثرات الاجتماعية التي كانت تؤثر على التجار، كان أثرها يظهر بشكل مباشر على الحرفيين، بالإضافة إلى أنه كان من مهام شيخ الطائفة تنظيم الصلة بين أعضاء الحرفة والتجار، إلى جانب تحديد أسعار المنتجات(فوزي جرجس، 1958: 17).

ويضاف إلى ذلك علاقات الجوار بين المحلات التجارية المنتشرة بالمنطقة، وما ينتج عنها من مراعاة الجار في عرض المنتجات، وتخصيص لكل محل مساحة من الرصيف لعرض المنتجات. ويجلس أصحاب المحلات عادة أمام محلاتهم يتبادلون أطراف الحديث الذي من أهم موضوعاته أخبار المنطقة وأهلها، وقد أصبح التغيير الذي تمر به المنطقة اليوم من الموضوعات المهمة في حياتهم اليومية، وكذلك أحوال السوق والتجارة.

- التعليم:

يعد التعليم من المجالات المهمة التي تتيح فرصة لتكوين أنواع من العلاقات – الصداقة، أو الزمالة – بين بعض الفئات من سكان المجتمع المحلي، سواء بين التلاميذ بعضهم البعض أو بين المدرسين والعاملين في المدارس ببعضهم البعض أيضاً. وقد أظهرت الدراسة الميدانية أن هناك بعض العوامل التي تدعم علاقات الصداقة أو الزمالة بين التلاميذ داخل مجتمع البحث ومنها، التجاور في المسكن، وجود علاقات جيدة بين أسر هؤلاء التلاميذ، وجود علاقة زمالة في العمل بين آباء هؤلاء التلاميذ وبعضهم البعض، وجود علاقات قرابة تربط بينهم، وجود علاقة صداقة بين الإخوة الكبار لهؤلاء التلاميذ. وقد تستمر هذه العلاقة في مرحلة التعليم الجامعي وخاصة في حالة الالتحاق بالجامعة نفسها، كما قد تتسع هذه العلاقة لتشمل أسر هؤلاء التلاميذ خاصة في ظل وجود الدروس الخصوصية التي تتم داخل منازل هؤلاء التلاميذ. أما العلاقة على مستوى المدرسين فقد تتنوع بين الصراع والزمالة أو الصداقة والعداء، تبعاً لبعض العوامل منها النوع، والاشتراك في نفس التخصص، والأقدمية في العمل.

-أداء العبادات:

تشكل المساجد المنتشرة بمنطقة الدراسة مجالاً للعلاقات بين مختلف الفئات،

وقد أظهرت الدراسة الميدانية ارتباط الأفراد بمجتمع البحث بالمنشآت الدينية في أداء الصلاة وقضاء أوقات الفراغ لكبار السن، والترويح، والتلاقي. ويزيد ذلك في بعض المناسبات الدينية، مثل شهر رمضان والعيدين – عيد الفطر وعيد الأضحى – فصلاة التراويح في رمضان تجمع الجيران والأصدقاء في ممارسة أنشطة دينية واجتماعية. كما أظهرت الدراسة الميدانية ارتباط العديد من أفراد مجتمع البحث بالمسجد في شهر رمضان تحديداً، حيث تجتمع الفتيات والنساء من المسكن الواحد وبعض المساكن المجاورة للذهاب لصلاة التراويح في مساجد المنطقة وفي بعض الأحيان يذهبن للصلاة في جامع عمرو بن العاص، ولا يخلو الأمر من التسوق بعد انتهاء الصلاة وخصوصاً في الأيام الأخيرة من شهر رمضان لشراء ملابس العيد. ويظهر ذلك أحد مظاهر الحياة اليومية في مجتمع البحث والتي ترتبط بالعمارة الدينية الموجودة بالمنطقة.

ويرتبط المسجد في الوقت الحالي ببعض الوظائف الاجتماعية التي تتم في إطار الحياة اليومية للسكان، فقد أصبح المسجد هو المكان الشائع لبعض المناسبات مثل، عقد القران، والعزاء، فقد خرجت هذه المناسبات من إطار المسكن والحارة إلى المسجد كمكان للتجمع والتلاقي والتواصل الاجتماعي بين الأفراد.

وقد أظهرت الدراسة الميدانية ما تتميز به بعض مساجد منطقة الدراسة من وجود أضرحة الأولياء، أما بداخلها مثل مسجد الحسين، أو بالقرب منها مثل مسجد وضريح الشيخ سنان. فتصبح هذه المساجد أماكن جذب للزائرين وخصوصاً من النساء، وما ترتبط به من صحبة الجيران والأصدقاء.

وقد أمدتنا الكثير من المصادر بالقصص عن بركة الدعاء عند المشاهد والأضرحة المختلفة الموجودة بالمساجد، ومنها مشهد السيدة نفيسة، والمشهد الحسيني، ومشهد السيدة زينب، وكيف أن أهل مصر كانوا يعتقدون بصورة كبيرة في الدعاء والصلاة عند هذه المشاهد لمن يريد الشفاء أو من يريد عودة ابنه من الحرب وغيرها من الأمور التي تهم الناس، سواء المثقفين منهم أو الجهلاء (أحمد فكري، 1965: 144).

ويروي ابن الجبير الكثير عن تقرب العامة وتبركهم بالمشاهد المختلفة ومنها قبر سيدنا الحسين – رضي الله عنه–، ويصف انكباب العامة على هذا الضريح قائلاً: "وشاهدنا من استلام الناس للقبر المبارك، وإحداقهم به وانكبابهم عليه وتمسحهم بالكسوة التي عليه، وطوافهم حوله مزدحمين، داعين باكين متوسلين إلى الله – سبحانه وتعالى – ببركة التربة المقدسة متضرعين ما يذيب الأكباد ويصدع الجماد، وللأمر فيه أعظم، ومرأى الحال أهول فسبحان من أوقف الملوك

عندها تتشفع بها وجعلها ملاذ الخلق مما سبق لها وما تقدم" (ابن الجبير: 19،20. نقلاً عن نجوى كيرة، 2004: 295).

وقد أظهرت الشواهد الميدانية أن زيارة الحسين والصلاة فيه من الأمور المهمة لرواد المنطقة وأهلها. وتكون الزيارة إما للدعاء لفك الكرب وقضاء الحاجات، أو للتبرك بالضريح، أو لإعطاء الهبات من طعام وأموال، حيث أشارت بعض حالات الدراسة إلى توزعيهم للطعام عند المشهد الحسيني إما بهدف إطعام الفقـراء أو لإيفاء النذور، رغبتاً منهم في التقرب إلى الله. وتشير حالات أخرى إلى أن زيارة الحسين والصلاة عنده تعد ترويحاً عن النفس فتقول في ذلك "لما الدنيا بتتأفل أدامي باخد بعضي واروح أزور الحسين وأعد هناك اصلي وربنا يأبل مننا".

كما يلعب المسجد دوراً في مجال الحوار الاجتماعي بين سكان المنطقة، ففي الإطار الديني المرتبط بالصلاة وحفظ القرآن يتلاقى الافراد ويتعارفون، وتنشـأ بينهم الصداقات، وتعقد الزيجات، وتتكون الجماعات. فأصبح المسجد اليوم مكاناً للعديد من الوظائف الاجتماعية التي تتخلل الحياة اليومية على مدار اليوم، أو في بعض المناسبات. والجدير بالذكر أن المد الديني كان له بالغ الأثر على تعدد أدوار المسجد؛ على الرغم من أن هناك تبايناً بين دور المساجد المختلفة تبعـاً لحجـم المسجد، وقيمته الأثرية، وموقعه، والسلطة الإدارية والرقابة الأمنية عليه، حيث لاحظت الباحثة قيام المساجد الصغيرة بالمنطقة بالعديد من الأدوار مثل تحفـيظ القرآن، ودروس التجويد والتلاوة، والدروس الخصوصية، على عكس المساجد الكبرى التي يقتصر دورها على الصلاة، وهو ما ينطبق على جامع الأزهر.

-التسوق:

إن من أكثر ما يميز منطقة الدراسة الحالية هي الأسواق التي تنتشـر بـين جنباتها، وتحتل أماكن من شوارعها الضيقة غير المنتظمة، ويمثل السوق أهمية كبيرة في الحياة اليومية للنساء من سكان المنطقة، حيث يتم شراء الاحتياجـات اليومية من مأكل ومشرب، والاحتياجات الموسمية من ملبس وأدوات للمنزل، ويعد السوق من المجالات الحيوية للتفاعل اليومي بين الباعة والمتسوقين من ناحيـة، وبين رواد السوق أنفسهم من ناحية أخرى. وتفضل النساء الذهاب للسوق مـع بعضهن بهدف التسوق وتبادل أطراف الحديث والمساعدة في حمل المشتريات.

-المقهى:

يلعب المقهى دوراً كبيراً في الحياة اليومية للأفراد على مختلـف الأعمـار – كبار السن أو الشباب– فيعد المقهى ملتقى للرجال، حيث يقضون قسطاً مـن حياتهم الاجتماعية.

وتؤكد العديد من المصادر والدراسات التاريخية على دور المقهى منذ القدم، حيث تشير لذلك نللي حنا في دراستها لثقافة الطبقة الوسطى بقولها: إن المقاهي كانت موجودة في جميع أنحاء القاهرة، وكانت أسعارها في متناول معظم سكانها، غير أنها ارتبطت بالطبقة الوسطى، ولم يكن باستطاعة فقراء المدينة ارتيادها، وهم الذين اعتادوا إنفاق ما يكسبون على سد الحاجات الضرورية للحياة. كما أن أفراد الطبقة الحاكمة لم يكونوا يرتادونها، مفضلين التمتع بوسائل المؤانسة والترويح في قصورهم. وقد كانت المقاهي تدرج في إطار الثقافة الشعبية أو الجماهيرية (نللي حنا، 2003: 109، 110).

وتنتشر المقاهي في المجتمع المحلي للدراسة، وتتنوع بين مقـــاهي ســـياحية ذاعت شهرتها في المنطقة، مثل مقهى الفيشاوي ونجيب محفوظ وولي النعم، ورواد هذه المقاهي هم من زوار المنطقة سواء من الأجانب أو المصريين. وتوجد نوعية أخرى من المقاهي التي تعتبر أماكن لتجمُّع الحرفيين وبعض أصحاب المحلات أو العاملين فيها، والرجال من سكان المنطقة، وتعتبر هذه هي أفضل وسيلة لقضاء وقت الفراغ للعاملين في الأسواق والورش.

وعلى الرغم من أن الغالبية العظمى من رواد المقاهي في المنطقة من الحرفيين، إلا أنه توجد مقاهي قليلة يشكل الموظفون غالبية روادها. والجدير بالذكر أن رواد المقاهي يفضلون مقاهي بعينها، هي دائماً الأقرب مكاناً، إما للمسكن أو لـــورش العمل، فسكان الحارة يفضلون المقهى التي تقع بالقرب من مدخل الحارة من ناحية شارع المعز، وبعض الشباب يفضلون المقهى وفقاً لمستوى روادها.

وتتنوع وظائف المقهى في مجتمع البحث، ويمكن إيجازها فيما يلي:

- للترفيه وقضاء وقت الفراغ في احتساء المشروبات، والتدخين، ولعب الدومينو والطاولة....الخ، وتبادل الحديث، ومراقبة الطريق والمشاة.
- يقدم المقهى إلى رواده من الحرفيين فرصاً للعمل، وتعاقداتها، حيث لا يقتصر دور المقهى على الترفيه فقط، ولكن لانتظار فرص العمل أيضاً. وعن طريق المقهى يمكن أن يتعرف الحرفيون على بعضهم البعض، وكذلك يمكنهم معرفة أخبار السوق وما يحدث فيه. وفي حالات البطالة يقضي الحرفيـــون معظـــم الوقت على المقهى.
- للمقهى في منطقة الدراسة دور واضح في الحركة السياحية، فيقبل الزائرون للمنطقة من المصريين والأجانب على المقاهي، وخاصة المنتشرة بمنطقة خان الخليلي، وتختلف المقاهي السياحية عن المقاهي الأخرى في أسعارها، ولذلك لا يفضلها سكان المنطقة في الاستخدام اليومي.

وبذلك يشكل المقهى أحد العناصر المتعددة الوظائف: اجتماعيـــة، ترفيهيـــة، وسياحية. ويلاحظ من ذلك أن للمقهى دوراً كبيراً في قضاء أوقات الفراغ للرجال. وأصحاب الحرف هم أكثر الفئات إقبالاً على المقهى. وقد أكدت دراســـة ســـعاد عثمان على الأدوار السابقة للمقهى.

وللمقهى جذور تاريخية في الحياة اليومية للمجتمع المصري، حيـــث تشـــير المصادر التاريخية لدور المقهى ووصفه، فيقدم "لين" وصفاً للمقهى قائلاً: "يقـــدم الرحالة – الذين زاروا مصر في ذلك العصر – وصفاً للمقاهي، فيتحدثون عن مروضي القردة والدببة، ويوضح ذلك أنه كانت هناك أنشطة أخرى تمارس فـــي المقاهي، كان لها أهميتها رغم محدوديتها. ونستطيع القول أيضاً أن المقاهي أعطت دفعة لتطور بعض الأشكال الأدبية؛ مثل الحكايات وبعض ضروب الشعر" (إدوارد وليم لين، 1991: 158).

ويلاحظ من العرض السابق أشكال العلاقات المتعددة بين المجتمع المحلـــي وسكان المنطقة، وتعددها تبعاً لحياة السكان واحتياجاتهم اليومية. وتنتقل العلاقات بعد ذلك لمستوى أضيق داخل المجتمع وهو الحارة.

2. العلاقات على مستوى الحارة:

وتعد الحارة موقعاً للقاء السكان ولنقل الأخبار وانتشارها، ويرتبط ذلك بموقع مدخل البيت ونوافذه، وهل تطل على الحارة؟ أم على الزقاق والعطفات الجانبية؟ فإطلالة مدخل البيت ونوافذه على الحارة يتيح الفرصة لمتابعة الأخبار وإلقاء التحية على المارة من الجيران، ومتابعة "الرايح والجاي" على حد قول سكان الحـــارة. ويلاحظ من ذلك أن الوقوف أمام النافذة، أو الثرثرة مع الجيران يتيحان للشخص إمكانية الإلمام بأخبار الحارة، بل وأحياناً بحياة الجيران الشخصية أو العائلية، التي ربما يفضلون ألا يطلع عليها الجميع.

وقد لاحظت الباحثة في المقابلات مع السكان ارتباطهم بالحارة ارتباطاً نفسياً ومادياً. وأن هناك علاقة قوية بين السكان والحارة، والارتياح إلى الأسلوب التلقائي في المعاملات فيما بينهم الذي توارثوه جيلاً بعد جيل، وأن دوافع البقاء بالحـــارة ليس مرجعه فقط رخص الإيجارات والأسعار؛ ولكن مرجعه الشعور بالانتماء بين السكان والمكان.

والحارة عبارة عن شارع مغلق من أحد طرفيه، مكونة مجموعة من المساكن أو المباني تطل عليها. والدرب ما هو إلا حارة، ولكن يتشعب منه عطفه وزقاق فيعرف بأنه درب (Sufy. Mohamed, 1980: 12). وتشير نوال المسيري في دراستها لحارة السكرية لمفهوم "الحتة" كمرادف لمفهوم الحارة، وترى أنها كيان

جغرافي واجتماعي على حد سواء، وهو مفهوم يعرف سكانها وسكان الحتت المجاورة فقط في حدودها الجغرافية. وليس من الضروري أن يعرف سكان نفس الحتة بعضهم البعض أو يدخلوا في علاقات وجهاً لوجه، غير أنهم يعتبرون أنفسهم مرتبطين بعلاقات جوار، فهم يتمتعون بروح جماعية تتضح بجلاء في أوقات الأفراح، والموت، والشجار (نوال المسيري، 1980: 546).

ويمثل مجتمع الحارة الامتداد الاجتماعي للحياة اليومية خارج البيت، فقد كانت الحارة وشوارعها المغلقة أشبه بأحواش البيوت، وامتداداً للمساحات المسكونة، وكانت الحارات المغلقة توفر للسكان مساحات إضافية في الشارع، حيث كان بوسعهم القيام بمختلف النشاطات (نللي حنا، 1993: 205).

ويظهر في مجتمع الحارة أشكال عديدة من العلاقات تتنوع ما بين المظاهر الايجابية والسلبية، فتظهر العلاقات الايجابية في التعاون حيث يعتمد الجيران على بعضهم في الأزمات الاقتصادية؛ حيث يظهر نظام الجمعيات الشهرية والسلفيات، وتبادل واستعارة الأدوات المنزلية بين بعض الأسر تبعاً لصلات القرابة ودرجة التداخل بين الأسر مع بعضهم البعض. ويضاف إلى ذلك اهتمام سكان الحارة بالقائهم التحية على بعضهم البعض طوال اليوم، والتي تدعم تواصلهم وتفاعلهم الاجتماعي، وعدم القيام بذلك يعد إساءة للآدب وتجاهل وتقليل من الاحترام والترابط المتبادل. والجدير بالذكر أنه لا يوجد فرق في إلقاء التحية بين الذكور والأناث؛ فيعد ذلك إحدى الواجبات بين سكان الحارة.

وعلى الرغم من وجود نزاعات بين سكان الحارة، إلا أنها لا تقلل من حجم الترابط بينهم، وأغلب هذه النزاعات تكون بسبب الأطفال وشجارهم مع بعضهم البعض، أو بسبب المرافق العامة التي وصلت لحالة من السوء في بعض البيوت القديمة والمتهالكة، وينشأ النزاع بسبب تكلفة الصيانة ومن المسئول من السكان عن وقوع التلف. ويسهم كذلك إلقاء القمامة في الطرقات وأمام مداخل البيوت في نشوب النزاعات بين السكان.

وتعد النساء من أكثر سكان الحارة مشاركة في العلاقات داخلها، وتؤكد بعض المصادر والدراسات التاريخية على قدم ذلك وارتباطه بمجتمع الحارة، فتشير دراسة نللي حنا إلى مشاركة النساء في حياة الحارة، حيث كن يقمن علاقات مع النساء الأخريات في نفس الحارة، وربما أيضاً من خلال بعض الأعمال المنزلية التي كان بوسعهن القيام بها في صحبة جاراتهن، كما كان الأطفال يلعبون في الشارع.

وكانت علاقات الناس في الحارات وثيقة نظراً لأن مساحات تلك الحارات كانت صغيرة في كثير من الأحوال، وبالتالي كان عدد سكانها محدوداً (نللي حنا، 1993:206).

ولاينفي ذلك حجم مشاركة الرجال من سكان الحارة في التفاعل المتبادل داخلها، من تبادل الأحاديث والأخبار، وهذا ما أكدته الدراسات التاريخية أيضاً، فتذكر دراسة نللي حنا أنه كثيراً ما كانت هناك مصطبات بجوار أبواب البيوت، حيث يجلس الرجال لتبادل الأحاديث مع جيرانهم، وكان ذلك يتيح لهم إمكانية رؤية من يدخل الحارة أو يخرج منها، ومعرفة ما يدور حولهم (نللي حنا، 1993: 208). وهكذا كان ومازال من السهل الحصول على أخبار الجيران وسكان الحارة، من كان مريضاً، ومن وضعت طفلاً، ومن مات أو خطب أو تزوج، ومن يستقبل ضيوفاً، ومن غاب عن بيته...إلخ.

ويمكن القول بأن التشكيل العمراني للحارة، واتساعها في أماكن وضيقها في أماكن أخرى، ثم عدم مرور السيارات عبرها، جعل فراغ الحارة مأموناً للسكان، وجعله مكاناً مناسباً للعب الأطفال وتجمع الشباب في الفراغات، وأيضاً لقاء كبار السن عند مداخل البيوت والحارات، مما أتاح لسكان الحارة من الجنسين – الذكور والأناث – وعلى مستوى الفئات العمرية المختلفة – الأطفال والشباب وكبار السن– المشاركة في العديد من مواقف التفاعل وما ينتج عنها من علاقات. مما زاد أيضاً من الشعور بأن الحارة فراغ مملوك لكل سكانها، يختلف في درجة خصوصيته عن الشارع الذي لا يفصله عن الحارة أي شيء.

3. علاقات الجيرة:

اهتمت الدراسة بعلاقات الجيرة بين سكان الوحدات السكنية داخل نفس العمارة وبين سكان العمائر المتجاورة، حيث تتنوع بين علاقات المحبة والتضامن وما ترتب عليها من مراعاة الجار، وعلاقات النزاع والخلاف التي تدور حول كيفية الاستفادة من الفراغات داخل العمارة السكنية أو البيت، وتقسيم الحقوق والواجبات في ذلك بين السكان. وتنتقل بذلك العلاقات من مستوى الحارة إلى مستوى أضيق وهو الجيرة.

وتتنوع العلاقات في هذا المستوى تبعاً لتعدد وظائف العمارة الواحدة، فقد لاحظت الباحثة وجود العديد من العمائر التي تضم وحدة سكنية واحدة "شقة" أو أكثر بجانب وحدات حرفية وتجارية. فمثلاً بيت محمد هلال (بيت الخواجة بلاتشي سابقاً) في زقاق أبيل بحوش آدم، يحتوي على أربع وحدات سكنية بداية من الدور الأرضي، يسكن منهم واحدة فقط، تخص صاحب البيت، الحاج محمد هلال. وتستخدم الوحدة في الدور الأرضي ورشة لبعض المنتجات الجلدية، وبقية الوحدات مغلقة تستخدم كمخازن للمحلات التجارية في المنطقة. وكذلك بيت الست ظهرة إبراهيم، به ثلاث وحدات سكنية، يسكن منها واحدة فقط (أسرة ع. إ.) وبقية الوحدات مغلقة، تركها أصحابها للسكن في مناطق أخرى، ويقومون بدفع القيمة

الإيجارية كل فترة. وأيضاً عمارات الأميرة شويكار بخان الخليلي، والتي أنشئت بهدف السكن، فتحولت معظمها لورش ومخازن للتجار في خان الخليلي، ولم يعد بها سوى ثلاث وحدات سكنية فقط من واقع (42) وحدة سكنية في أربع عمائر متلاصقة تمثل بناء واحداً له عدة مداخل*. وأيضاً وقف مراد باشا بالغورية حيث يمثل منشأ ضخماً له أربع مداخل، كل مدخل يؤدي إلى مجموعة وحدات سكنية مستقلة، كان مخصصاً في الماضي لسكن كبار الموظفين والأطباء وكبار التجار بالمنطقة **، تحوَّل حالياً لمجمع تجاري يزخر بالمحلات التجارية المخصصة لبيع المفروشات والعطارة بالدور الأرضي، أما الوحدات السكنية فلم يتبق منها سوى ثلاث وحدات فقط، موزعة على مداخل المنشأ، فكل وحدة من الوحدات الثلاثة لا تجاورها وحدات سكنية أخرى، وبذلك تفتقد لمظاهر وتفاعلات الجيرة في الحياة اليومية لساكنيها. أما باقي الوحدات فقد تحولت إلى مخازن للتجار أصحاب المحلات في الطابق الأرضي. والعلاقات بهذا النمط محدودة ، نظراً لقلة عدد السكان بالمنشأ، وقلة الوحدات العامرة بالسكان، فتوضح ذلك إحدى حالات الدراسة قائلة: "الناس الحلوة مشيت خلاص وأصحاب المحلات في حالهم واللي واخد مخزن مالناش دعوة بيه هوه في حاله واحنا في حالنا".

ويلاحظ من ذلك أن المنطقة تحولت إلى منطقة طرد للسكان وجذب تجاري؛ ولكن هذا لا ينفي وجود العديد من العمائر السكنية بالمنطقة، وتزيد الكثافة السكنية كلما ابتعدنا عن المركز التجاري لوسط المدينة، أي شارع الأزهر، وشارع المعز لدين الله والغورية. وعلى الرغم من ذلك فهناك العديد من مظاهر العلاقات التي تربط السكان ببعضهم البعض في إطار حياتهم اليومية، والتي تظهر في اهتماماتهم بالسؤال عن بعضهم البعض، وتقديم المساعدة في أداء بعض المهام المنزلية، وقضاء الطلبات من السوق لكبار السن من الجيران، هذا إلى جانب التزاور وقضاء أوقات الفراغ، وتبادل أطباق الأطعمة في المناسبات مثل الكعك في عيد الفطر، ومساندة بعضهم البعض في المواقف المختلفة.

وتسهم مورفولوجية المسكن في أنماط العلاقات، حيث لاحظت الباحثة أن المساكن التي بها حوش، ينتج عنه أشكال من التفاعل مثل تجمع النساء وتبادل الحديث، وأداء بعض المهام المنزلية من تنظيف الخضروات والغسيل أحياناً. وينتج عنه أيضاً نزاعات وخلافات حول استغلال الحوش من قبل سكان الطابق الأرضي

* دار المحفوظات بالقلعة، دفتر جرد شياخة خان الخليلى من 1942 – 1949.

** إحدى اخباريات منطقة الدراسة السيدة (س.ا.)، واحدة من السكان المتبقين فى المبنى ولدت وعاشت به وتزوجت به أيضاً.

بما يتعارض مع مصالح بقية السكان، فيستخدم أحياناً لتربية الطيور والحيوانات، ولتخزين بعض الأدوات المنزلية، وأحياناً كمكان للحرف مثل نقش النحاس في بيت الخواجة دميتري فاسيلي بالجمالية. ويستخدم أيضاً كمقعد للنوم والراحة لكبار السن كما في بيت الحاج محمد شقرون، حيث قام سكان الطابق الأرضي بوضع "كنبة" في المدخل ينام عليها الحاج على رب الأسرة، فنظراً لكبر سنه وضيق المنـــزل فيشعر أن ذلك يربطه بالمجتمع الخارجي–أي الحارة– ويفتح له مجالاً للتفاعـــل الاجتماعي، حيث يلقي عليه التحية الداخل والخارج، ويتابع أخبار البيت، ويهـــتم بحراسة المبنى وسؤال كل من يمر أمامه "أنته رايح فين"، فيزيد ذلك من شعوره بالتواجد في محيطه الاجتماعي والقيام ببعض الأدوار التي تكسبه مكانة، ويقول في ذلك "أنا الكبير بتاع البيت ده".

وقد أظهرت الدراسات التاريخية قدم هذه العلاقات واستمرارها في الوقـــت الحالي، فتذكر دراسة نللي حنا هذا النوع من الخلافات بسبب كيفية استغلال حوش البيت، حيث ذكرت سجلات المحاكم حالات النزاع الواردة بسبب تربية الدواجن في البيوت (الجبرتي، ج 2: 103 – محكمة الباب العالي، 1639: 48. نقلاً عن نللي حنا، 1993: 197).

وقد أظهرت الدراسة الميدانية أن الجيرة في مجتمع البحث ترتبط بمجموعة من الواجبات تظهر في مواقف مختلفة مثل الزواج، حيث ترتبط واجباته بالمشاركة في الاحتفال وتقديم الهدايا "النقوط"*، ومشاركة الأسرة المحتفلة فـــي الاســـتعدادات المصاحبة لذلك تبعاً لدرجة العلاقة فيما بينهم. ويصاحب ذلك إطلاق الزغاريد من باب المجاملة والمشاركة في الاحتفال.

ومن واجبات الجيرة – أيضاً– الواجبات المتعلقة بالموت، وهي في مقدمـــة واجبات الجيرة من حيث الأهمية، وهي غير قاصرة على الجيرة القريبة، ولكن يشارك فيها معظم سكان الحارة، ولكن تختلف مظاهر المشاركة تبعاً لمدى تقارب الجيران في العلاقات. وتبدأ تلك الواجبات من حدوث الوفاة؛ حيث يلتف الجيران حول أسرة المتوفي، ويشتركون في إجراءات الدفن، وفي بعض الأحيان يشاركون في نفقات الدفن وإقامة سرادق العزاء، وتفتح الوحدات المجاورة لاستقبال العزاء؛ نظراً لضيق الوحدات السكنية. وتقدم النساء بعض المأكولات والشاي والســـكر، للمساهمة في واجبات العزاء.

* النقوط هو ما يقدم للأسرة المحتفلة من نقود وسكر وشربات وحلوى أحياناً، ويعد النقوط بـــين الجيران من الواجبات التي يجب ردها في المواقف المماثلة (انظر دراسة سعاد عثمـــان عـــن الجيرة).

ومن الواجبات الأخرى التي تعكس العلاقة بين الجيران، زيارة المرضى، حيث يحرص الجيران على واجب زيارة المريض. وكذلك واجب نجدة الجار وقت الشدة فتشير إحدى حالات الدراسة لذلك قائلة: "الجار أقرب من الأهل ده لما الحاج تعب جري مصطفى ابن جارتي ربنا يحميه وجاب عربية ونقله المستشفى وفضل معانا لغاية الصبح ده الجار الكويس بيبقى أقرب للواحد من الأقارب". ويرتبط بالجيرة واجب آخر وهو فض النزاع، إما بين سكان الأسرة الواحدة – أي بين الزوج وزوجته أو أحد الوالدين وأبنائه –، أو بين الجيران بعضهم البعض. ويرتبط بذلك تهدئة الحال والسعي للصلح بين الاطراف.

ويلاحظ من العرض السابق لعلاقات الجيرة أنها لا تنفصل عن منظومة العلاقات السابقة فهي تتم في إطار مجتمع الحارة والفصل هنا بهدف العرض والتحليل فقط. وتظهر علاقات الجيرة بوضوح في مواقف الحياة اليومية المختلفة، وفي بعض المناسبات الخاصة التي تفرض على الجيران مجموعة من الواجبات التي تظهر ترابطهم وتدعمه.

4. العلاقات داخل المسكن:

تتضمن تلك العلاقات؛ العلاقة بين أفراد الأسرة الواحدة، حيث تختلف أشكال العلاقات داخل المسكن تبعاً لعدد الأسر في المسكن الواحد، ونمط الأسرة وحجمها وخصائص أفرادها، والخصائص البنائية والمورفولوجية للمسكن*.

وقد أظهرت الدراسة الميدانية تنوعاً في نوع المسكن في منطقة الدراسة، الذي خلق بدوره تنوعاً في علاقات الحياة اليومية داخله تبعاً لنوع الأسرة نووية أو ممتدة.

فنجد مسكن الأسرة النووية حيث تتشكل منظومة العلاقات داخل هذا النوع من المسكن بين الزوج والزوجة وعلاقتهم بالأبناء، وعلاقات الأبناء ببعضهم البعض. وتوجد بعض العوامل التي تؤثر على هذه العلاقات؛ مثل عمل الزوجة والزوج، ونوع العمل، وغياب الأب عن الأسرة، ووجود الأبناء في مراحل التعليم أو الانتهاء منها، والتحاقهم أو عدم التحاقهم بالعمل.

* أظهرت الدراسة الميدانية وجود بعض المساكن التى تضم مجموعة من الأسر التى تشترك معاً فى مسكن واحد. وقد جاءت نتائج بعض الدراسات السابقة مؤكدة لوجود هذا النوع من السكن فى الأحياء الشعبية مثل دراسة سعاد عثمان، 1985. وكذلك دراسة نللى حنا، 1993. ودراسة الحياة اليومية لفقراء المدينة، 1995. ويلاحظ من ذلك أهمية التعرض للعلاقات اليومية داخل هذا النوع من السكن.

وتختلف علاقات الزوج والزوجة في حالة خروج المرأة إلى العمل، فتقضي الزوجة أغلب ساعات اليوم بعيداً عن البيت. وتصبح فترة المساء بالنسبة لها فترة عمل داخل المنزل، وبالتالي تقل علاقاتها مع الجيران. وفي بعض الأحيان يكون لها دور في اتخاذ القرارات المتعلقة بالأسرة نظراً لمشاركتها في مصاريف البيت، وأحياناً أخرى لايكون لها أي دور. وقد أكدت دراسة سعاد عثمان على عمل المرأة كمتغير يلعب دوراً كبيراً في منظومة العلاقات داخل الأسرة.

فقد أظهرت الدراسة الحالية أن إحدى حالات الدراسة التي تعمل بها الزوجة لا يكون لها أي دور في اتخاذ القرار أو ممارسة القوة، حيث يستولي الزوج على دخلها بالكامل، وهو الذي يحدد بنود الإنفاق، ويضاف إلى ذلك أن الزوج لا يعمل، ويأخذ من دخل الزوجة للإنفاق على التدخين والذهاب إلى المقهى (حالة 4، ن. م.)، وفي حالة اعتراض الزوجة يمكن أن يتعدى عليها بالضرب أو السب. وقد جاءت نتائج الدراسة الحالية متفقة مع ما ورد في الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع بالدراسة، فتشير سعاد عثمان في دراستها عن الجيرة إلى أن الزوجة التي تحقق دخلاً للأسرة تختلف علاقتها بالزوج عن تلك التي لا تحقق دخلاً للأسرة (سعاد عثمان، 1985: 302).

ويتنوع عمل الأزواج في مجتمع البحث بين العمال الحرفيين، والعمال غير المهرة، وموظفي الحكومة. ونتيجة لذلك تتباين فترات غياب الزوج عن المسكن بما يتيح للزوجة أحياناً قدر أكبر من العلاقات مع الجيران، وكذلك تحمل أعباء الحياة، من أعمال منزلية، وقضاء احتياجات المنزل، وتربية الأبناء، وتوصيل الأطفال إلى المدارس وإحضارهم في الظهيرة في بعض حالات الدراسة. ويؤثر ذلك – أيضاً – في مواعيد تناول الوجبات الرئيسية، فمثلاً في حالة عمل الزوج في الوظائف الحكومية يلتزم أفراد الأسرة بموعد محدد يجتمعون فيه لتناول وجبتي الإفطار والغذاء. أما في حالة عمل الزوج في أعمال حرفية أو تجارية فيكون موعد الوجبة الرئيسية في فترة المساء، وتتناول الزوجة والأبناء في فترة الظهيرة ما تبقى من طعام اليوم السابق أو طعام الإفطار، وتشير لذلك إحدى حالات الدراسة بقولها "لازم لما ييجي البيت بالليل يكون الأكل سخن ومتحضر وناكل كلنا مع بعض والعيال لما ييجوا من المدرسة يبقوا يكلوا أي حاجة" (حالة 2، ع. س).

أما في حالة غياب الزوج للعمل في الخارج – الدول العربية – يكون لذلك تأثيره الواضح على علاقة الزوجة بالأبناء، وتحمل أعباء تربيتهم، وتوزيع بنود الإنفاق، وتستمد بذلك قوة من ممارسة هذه الأدوار. فتشير لذلك إحدى حالات الدراسة بقولها "أنا إللي بعمل كل حاجة هوه بيجيب فلوس وبس" (حالة 5، أ.م.). ويتيح سفر الزوج أيضاً مجالاً أكبر للعلاقات مع الجيران والأقارب.

وقد أظهرت الدراسة بعض أشكال العلاقة بين الأب والأبناء، التي توضح بعض حالات سيطرة الأب على الأبناء، حيث يصل الأمر في بعض الأحيان للضرب والطرد من المنزل (حالة 4، س.م). وهناك شكل آخر في حالة كبر الأب وتدخل الابن الأكبر في شئون الأسرة نظراً لإنفاقه عليها، ومساهمته في تجهيز اخواته البنات للزواج، وإحضار كسوة العيد (حالة 7، أ.أ.).

تختلف منظومة العلاقات وأشكال التفاعل اليومي بين السكان في حالة الأسرة الممتدة، وسكن الزوج والزوجة مع أهل الزوج، أو أهل الزوجة. ومن المعتاد أن الأزواج الذين يبدأون حياتهم الزوجية عند إحدى الأسرتين، كانوا كثيراً ما يستقرون لديها ويكونون أسرتهم في بيت العائلة، حتى بعد وفاة الآباء.

وتؤكد المصادر والدراسات التاريخية على ارتباط الأبناء ببيت أسرهم بعد الزواج وسكنهم معهم وتفاعلهم مع بقية أفراد الأسرة في نسق حياتهم اليومية. فإقامتهم في أسرة التنشئة يفرض عليهم أشكالاً من التفاعل الاجتماعي والأدوار الملزمة داخل الأسرة، وقد أشار لذلك كلاً من دراسة (نللي حنا، 1993) ودراسة (إدوار وليم لين، 1991) إلى أن هذا النمط من السكني كان هو النمط الشائع في القاهرة قديماً. تذكر نللي حنا في دراستها أنه كان من المعتاد أن يقيم الزوجان الشابان عند أهل الزوج، وفي بعض الأحوال عند أهل الزوجة، فهؤلاء الأزواج كانوا أحياناً صغار السن، ولذا كان من الطبيعي أن يواصل الأهل الاهتمام بشئون الزوجين (نللي حنا، 1993: 189).

وتقدم نللي حنا وصفاً لتصميم إحدى البيوت القديمة من فترات الحكم العثماني، والذي كان يخصص لسكن إحدى الأسر الممتدة. وهو "بيت الإسطنبولي" حيث تتكون الوحدة السكنية الكبرى في بيت الإسطنبولي من قاعة كبيرة وفسحة رحبة وكرسي راحة وثلاث حجرات صغيرة، بينما يعيش في الوحدات السكنية الأصغر أبناؤه المتزوجون أو أعمامهم أو عماتهم (نللي حنا، 1993: 189، 190).

ولايزال هذا النمط موجوداً حتى الآن؛ حيث جاءت أربع حالات من حالات الدراسة ممثلة لهذا النوع من السكن للأسر الممتدة، التي أظهرت مجموعة من العلاقات بين الجيلين (الآباء والأبناء) من حيث الإنفاق، والخدمة، واتخاذ القرارات التي تصل لأبسط أنواع القرارات المتعلقة بنوع الطعام، ومن المسئول عن شراء احتياجات الأسرة اليومية؟

وأظهرت الدراسة في بعض الحالات أن السكن مع أهل الزوج يعد محنة قاسية أحياناً لبعض الزوجات؛ من فقد للخصوصية، وتحمل أعباء منزلية كبيرة، حيث تعمل زوجة الابن على خدمة والديه، وفي بعض الأحيان عدد آخر من الأقارب

اللذين يقيمون معهم. في (الحالة 12، س . ش) كان مسكن أسرة الزوج كبيراً مكوناً من أربع غرف وصالة واسعة تفتح عليها جميع الغرف، ويسكن فيه أسرة الزوج المكونة من الأم والأب وأثنتين من إخوته البنات، وعمته وزوجها، هذا بالإضافة للأخ الأصغر وزوجته وابنيه. ولا تخلو صالة المسكن من المبيت، حيث تستخدم لتجمع أفراد الأسرة للأكل، ومشاهدة التليفزيون، وقضاء بعض الأنشطة من شرب الشاي والقهوة، وتنظيف الخضار، واستقبال الزائرين. هذا إلى جانب أنها مخصصة في الليل لمبيت الأب حيث يعاني من آلام في ظهره فيفضل النوم على "الكنبة" ومشاهدة التليفزيون باستمرار.

وتعاني زوجة الابن الأكبر من قيامها بالعديد من المهام المنزلية، وتحكم أم الزوج في العديد من الأمور، وتوزيع المهام المنزلية على زوجات أبنائها.

وفي هذا النمط من المسكن تنشأ علاقات متعددة ليست موجودة في الأسرة النووية، وأشكال من النزاعات بين أفراد الأسرة حول النفقات، والأعمال المنزلية، والخصوصية سواء في النوم أو الأكل أو الممتلكات الخاصة.

ولا تقتصر العلاقات هنا على النزاعات فقط، ولكنها تحمل العديد من مظاهر التضامن الاجتماعي التي تسهم في حل العديد من مشاكل الحياة اليومية والتزاماتها التي تثقل كاهل الاسرة وتؤثر على العلاقات داخلها، فتذكر (الحالة 10، أ.ع) أن التواجد في أسرة الزوج يساعدهم على الاستمرار في الحياة. حيث يسهم أبو الزوج في نفقات تعليم الأبناء، وكذلك في حالة المرض، فتذكر قائلة: "لما تعبت بعد الولادة حماتي وأخت جوزي كانوا بيخدموني ويخدموا عيالي".

وتضيف (الحالة 9، ر. ف) أنها تستطيع الذهاب للعمل في وجود أم الزوج، حيث تترك لها ابنها الرضيع أثناء وجودها في العمل، لأن مسكن أم الزوجة يبعد كثيراً عن مسكنها. وتشير إلى أنها تسهم في نفقات المنزل بكل دخلها؛ ولكنها سعيدة بذلك لأن عملها يساعد الأسرة على الاستمرار، وتوضح ذلك قائلة "حماتي دي ست زي العسل برجع من الشغل ألاقيها طبخت وساعات غسلت الغسيل ربنا يديها الصحة". وتقوم الزوجة في مقابل ذلك ببعض الممارسات التي تسهم في استمرار هذا التبادل الاجتماعي، من شراء الهدايا لأم الزوج وأخته، وكذلك شراء الحلوى وبعض الأدوات المنزلية. وغني عن البيان وجود أم الزوج "حماتها" أثناء المقابلة وسماعها الحوار السابق ذكره.

وهناك أيضاً نمط السكن مع أهل الزوجة كما في (الحالة 8، و. س.) حيث تقيم الزوجة وزوجها والأبناء مع أهلها – الأب والأم و إخوتها – بعد أن طردهم أبو الزوج من المسكن لأنه يريد أن يتزوج بزوجه أخرى، وقال لزوجها "أنت راجل

وتشيل نفسك أنا ماليش دعوه بيك أو بدوشة عيالك"، فأصبح الوضع مفروضاً عليهم. وينتج عنه العديد من الخلافات بين أب الزوجة وأخيها وبين زوجها، ولكنها سعيدة بالسكن مع الأم وقضاء الوقت في بيت الأب.

وهذه الظاهرة لها جذور عميقة في مجتمعنا المصري، حيث أكدت بعض الدراسات التاريخية على ذلك، فتشير نللي حنا في عرضها لإحدى حالات الدراسة، "أن الزوجة الشابة لطيفة بنت شحاتة بن علي، دفعت شكاويها إلى والدها وعمها إلى التقدم بطلب للمحكمة لكي يوفر زوجها مسكناً قريباً من مسكن أسرتها، وقد تم حل المشكلة عندما وافق زوجها على الإقامة عند حماته (محكمة الباب العالي، السجل 134، 1657: 219. نقلاً عن نللي حنا، 1993: 191). وكذلك تشير دراسة نجوى كيرة إلى ارتباط البنت بأسرتها ارتباطاً كبيراً، فعند زواجها وفي حالة كبر سن أمها وأبيها، وعدم وجود من يرعاهما كانت هذه البنت تسكن هي وزوجها في منزل عائلتها لتقديم الرعاية لوالديها (Goitein, 1969: 9. نقلا عن نجوى كيرة، 2004: 253). وإن كان ذلك يدل على شيء فهو يدل على تفضيل الزوجة لمنزل الأب على منزل أهل الزوج.

ويلاحظ من ذلك توفر بعض العوامل التي تدعم وجود واستمرار اللأسرة الممتدة في الحضر، فبعضها عوامل اقتصادية ترتبط بقلة الدخل وعدم قدرة الزوج على توفير مسكن مستقل الأسرة، فيستمر في الإقامة مع أسرته بعد الزواج كحل للارتباط وتكوين أسرة. وبعضها عوامل اجتماعية ترتبط بكبر سن الأب والأم واحتياجهم للرعاية من قبل الأبناء، وفي بعض الحالات من الأحفاد، وكذلك في حالة وفاة الأب أو الأم وعدم قدرة الآخر على الاستمرار في الحياة بمفرده، ويضاف لذلك توفر مساحة من المسكن مناسبة لإقامة الأبناء بأسرهم لتقديم الرعاية والتفاعل الاجتماعي الذي يمد الحياة بآليات الاستمرار.

وهناك نمط آخر من أنماط العلاقات داخل المسكن الواحد بين مجموعة من الأسر لا يربط بينها علاقة قرابة. أو توجد بينها صلات نسب في بعض الأحيان، ويطلق على هذا النمط من المساكن اسم "بيت شرك"؛ أي يشترك فيه عدد من الأسر في مسكن واحد، تعيش كل أسرة في غرفة ويشتركون في الخدمات والمرافق "حمام ومطبخ"، وبعض الأسر تقوم بتجهيز مطبخ في أحد أركان الغرفة، أو في المساحة المقابلة لباب المسكن "البسطة"، أو في طرقات المسكن.

وقد لاحظت الباحثة وجود هذا النمط من السكن في منطقة الدرَّاسة ولكن لا يحمل خاصية الانتشار، وهذا يعطي مؤشراً للتغير؛ حيث أشارت بعض الدراسات التاريخية إلى انتشار هذا النمط من المسكن في فترات سابقة، فتشير لذلك

نللي حنا في دراستها قائلة "يتضح لنا أن البيوت كانت تأوي أحياناً عدداً كبيراً من الأشخاص الذين لم تكن علاقات القربى بينهم وثيقة" (محكمة مصر العتيقة، سجل 103، 1085: 401. نقلاً عن نللي حنا، 1993: 190، 192). ويعد الوضع الحالي امتداداً تاريخياً لظاهرة السكن الشرك.

وقد أشارت نجوى كيرة في دراستها إلى المساكن المشتركة، وكانت تقصد بها الرباع التي تسكنها أكثر من أسرة في وقت واحد، على عكس الدور ومفردها الدار وهي المساكن التي تسكنها أسرة واحدة من بابها (ابن الطوير، 1220: 92، 93. نقلاً عن نجوى كيرة، 2004: 337).

وقد أشارت دراسة سعاد عثمان لهذا النمط من السكن "سكن الشرك" في حديثها عن علاقات الجيرة، حيث ذكرت أن الزوجة في هذا المسكن تكون كثافة من العلاقات الاجتماعية، وتزيد التفاعلات مع الجيران وخاصة في حالة غياب الزوج (سعاد عثمان، 1985: 303).

وتأتي الشواهد الميدانية للدراسة الحالية مؤكدة لما جاء في دراسة سعاد عثمان، حيث كثافة العلاقات بين الأسر التي تشترك في سكن واحد. حيث تصبح الزوجات وكأنهن أعضاء في أسرة واحدة يعرفن كل كبيرة وصغيرة عن بعضهن. فتواجدهن في سكن واحد يفرض عليهن الاشتراك في أجزاء من السكن مثل دورة المياه، وصالة البيت كمكان للاستقبال ولعب الأبناء وتبادل الحديث بين الرجال، وهذا بدوره يخلق التفاعل فيما بينهن على مدار حياتهن اليومية التي لا تخلو من تقسيم للوقت، وتوزيع للادوار، والتفاعل مع أجزاء السكن المشتركة فيما بينهن حول الاستخدام والنظافة.

وهذا لا ينفي وجود قدر من النزاعات والخلافات حول استخدام المرافق بالسكن، وفي دفع القيمة الإيجارية والكهرباء والماء، وتنظيف السكن والسلم والإصلاحات المشتركة.

وتؤكد حالات الدراسة أن السبب الرئيسي في وجود هذا النمط من السكن هو ضيق ذات اليد، والظروف الاقتصادية التي تمر بها الأسرة.

ولا تقتصر العلاقات في هذا النمط على النزاعات والخلافات فقط، فتشعر الأسر في السكن المشترك بأنها عائلة واحدة تدعم بعضها في المواقف المختلفة، وتظهر بينهم أشكال من التضامن الاجتماعي تدعم تواجدهم في سكن واحد. فمثلاً (الحالة 3) تشير إلى ذلك بقولها "بنساعد بعض اللي معاه يسلف إللي ممعاهوش أو نعمل جمعية وياخدها الأول"، وتضيف إحدى الزوجات في هذا السكن أنها تعتمد على جارة أخرى في نفس السكن لرعاية أولادها أثناء تواجدها في العمل.

وتقدم (الحالة 6) نموذجاً آخر من السكن الشرك؛ حيث تسكن مجموعة من الأسر في منزل واحد مكون من عدة طوابق، كان مخصصاً في الماضي لسكن عائلة واحدة، وهو بيت الخرزاتي في الجمالية. حيث كان يسكنه (20) أسرة موزعة عليه من المدخل حتى الطابق الثالث، والسطوح أيضاً.

وتؤكد الدراسات التاريخية على قدم ظاهرة البيوت المشتركة وأن لها جذوراً تاريخية، فتشير دراسة نللي حنا لوجود هذا النمط في بعض بيوت العصر العثماني، وتؤكد أيضاً على ما ينشأ بين سكانه من علاقات حميمة سواء كانوا أقارب أو غير أقارب. وكانت هناك مساحات مشتركة مثل "الحوش، والبسطات؛ حيث يكون بوسع الزوجات القيام ببعض الأنشطة المنزلية معاً، وتوجد المصطبة أمام باب البيت؛ حيث يجلس الرجال بعد العمل لتبادل الحديث فيما بينهم أو مع بعض الجيران" (نللي حنا، 1993: 194).

وتؤكد نللي حنا أن هذه البيوت لا يسكن بها إلا الأسر فقط، فلا يسكن بها رجل غير متزوج، كإجراءات وقائية لتحاشي المشاكل المتعلقة بالحياة الخاصة، وضمان قيام علاقات طيبة بين مختلف السكان، وبذلك كان يتم استبعاد الأشخاص الذين قد يلحقون الضرر بتلك العلاقات (نللي حنا، 1993: 194،193).

ويختلف هذا النمط من السكن فيما يوفره لقاطنيه من مساحة توظف لسد احتياجاتهم جميعاً؛ وهي غير متوفرة في بعض الأنماط السابقة الذكر. فمثلاً تظهر الدراسة الميدانية الدور الاجتماعي للحوش، وما له من وظائف متعددة، فهو يستخدم لإقامة الاحتفالات، كما يقام به العزاء، ويستخدم أيضاً كمكان للقيام ببعض المهام المنزلية، وتجمع النساء لتبادل الحديث.

وتتميز هذه المساكن بوجود "الحريم"، ويقصد به سطوح البيت الذي يستخدم لقضاء أوقات الفراغ في الصيف ويخصص للنساء فقط. ويحتوي بيت الخرزاتي على حريمين لكل واحد منهما سلم مستقل، لا يسمح لجميع نساء المسكن باستخدامه، فهو يخص الأسر المطلة عليه فقط.

وتذكر الإخبارية*، أنه بقدر ما كان ينشب من خلافات حول تنظيف السلالم والحوش، وتكلفة الإصلاحات الخاصة بمياه الصرف والمرافق؛ إلا أن العلاقات داخل المنزل كان يسودها مناخ من المحبة والتضامن ومراعاة الجار، واحترام الخصوصية. فمثلاً في حالة غياب أحد الجيران يتم دفع القيمة الإيجارية عنه لحين

* وهى إحدى السيدات اللاتي كن يسكن فى بيت الخرزاتي قبل إخلائه وتبعيته لوزراة الثقافة حالياً.

عودته، وفي حالة غياب الزوج يتم مراعاة أهل بيته بالسؤال عنهم وتقديم المساعدة لهم في قضاء احتياجاتهم، وتذكر الإخبارية قائلة "كلنا كنا عيلة واحدة مفيش حد يزعل من حد كتير وكل حاجة جوة البيت ما تطلعش برة أيام زمان حلوة".

ويظهر هذا النمط من السكن المشترك منظومة من العلاقات تميزه عن سكن الشرك في وحدة سكنية واحدة "شقة"، حيث يوفر قدراً من الخصوصية لساكنيه، وكذلك لا يسمح بقيام نزاعات على مرافق المسكن لأن لكل وحدة مرافقها الخاصة فيما عدا أسرتين كانتا تشتركان في نفس "الحمام"، ولذلك تقترب العلاقات به من العلاقات داخل المنزل بين مجموعة من المساكن "شقق" يخصص لكل مسكن أسرة أو عائلة واحدة. ولم يكن هذا النمط منتشراً في فترات القصور ومنازل الأثرياء. حيث كانت العلاقات الاجتماعية داخلها منظمة بطريقة مختلفة، فقد كانت تضم بجانب أفراد العائلة العديد من الأفراد غير الأقرباء، من مستخدمين وخدم وعسكريين وأتباع (نللي حنا، 1993: 195). فقد ظهر السكن المشترك مع تعقد ظروف الحياة الاقتصادية، وكأحد الحلول التي يطرحها النسق بهدف الاستمرار.

ويلاحظ من العرض السابق للعلاقات داخل المسكن، أن الحياة اليومية الاجتماعية للأفراد داخله تنتقل بين الأعباء المنزلية الموزعة بين وحدات المسكن والأماكن المشتركة في البيت، وبين الأقارب والأصدقاء والجيران الذين يجتمعون معاً، إما في السكن أو عن طريق التزاور، حيث تشكل الزيارات جانباً مهماً في حياة الناس الاجتماعية. والتي تمتد في بعض الأحيان إلى عدة أيام، وفي حالة عدم وجود غرف للاستقبال – وهذا هو النمط الشائع في البيوت – يتم تحويل غرفة في الوحدة السكنية إلى مكان للاستقبال – بصفة مؤقتة– ويمكن أن تدخل النساء والأطفال إلى الغرف المخصصة للنوم للجلوس والحديث في فترة الزيارة، ويلاحظ من ذلك تنوع وظائف وحدات البيت تبعاً للمواقف المختلفة ويرجع ذلك لضيق مساحات المسكن.

ومن الملاحظات المتعلقة بضيق المسكن وعدم توفر المساحات الكافية لساكنيه؛ عدم الفصل بين الجنسين في الحياة الخاصة في البيت في بعض حالات الدراسة؛ حيث تسكن الأسرة كلها الأب والأم والأبناء في غرفة واحدة – سكن الشرك – مما لا يتيح فرصة لتخصيص أماكن للذكور وأماكن للإناث.

وتشير بعض الدراسات التاريخية والأثرية التي اهتمت بالحياة الاجتماعية داخل المسكن*، إلى أن التقسيم الدقيق لمختلف أنحاء البيت لم يظهر إلا تحت تأثير

* – سعيد عبد الفتاح عاشور، دراسات فى الحياة الاجتماعية فى مصر على عصر سلاطين =

المماليك والأتراك، وأن الفصل بين الجنسين لم يكن معمماً كما قد يبدو إلا في القصور وبعض أنواع السكنى الخاصة بالطبقة العليا.

ويلاحظ – أيضاً– من نمط العلاقات السابق، أن الحياة اليومية للأفراد تحمل في طياتها العديد من القيم الاجتماعية، ومنها احترام كبار السن حتى وإن كان ذلك على غير الرغبة. فقد ظهر واضحاً من خلال الدراسة وخصوصاً الأسر الممتدة، والسكن المشترك، أن لكبار السن مكانة واضحة حتى وإن لم يكن لهم قيمة اقتصادية؛ أي المساهمة في النفقات الأسرية. وتؤكد دراسة وصف مصر على تأصل هذه القيمة في المجتمع المصري، حيث تشير إلى ما يتميز به المصريون باحترامهم لكبار السن، وينظر الشبان لآبائهم بنوع من التقديس فلا يجرؤون أن يدخنوا أمامهم على الإطلاق (وصف مصر، المجلد الأول، 1979: 43).

وتشير نجوى كيرة في دراستها لهذه القيمة قائلة: " كان الصغير في الأسرة المصرية يحترم الكبير، ومن مظاهر ذلك انتشار عادة تقبيل يد الأخ الأكبر أو العم الأكبر،احتراماً له (Goitein، 1969: 4. نقلاً عن نجوى كيرة، 2004: 254).

ثانياً – أهم النتائج والاستخلاصات:

يلاحظ من العرض السابق لعلاقات الحياة اليومية في مجتمع الدراسة أنها تتميز بالعديد من السمات والخصائص العامة التي عرضها Pioter Sztompka في سياق حديثه عن إطار تحليلي للحياة اليومية (Pioter Sztompka, 2008 نقلاً عن محمد الجوهري، 2011: 19– 24) وهي:

- أن علاقات الحياة اليومية ظاهرة واضحة يمكن ملاحظتها داخل السياق الاجتماعي لحياة الأفراد، فالحياة اليومية تشتمل دائماً على العلاقات مع أفراد آخرين.
- تتميز علاقات الحياة اليومية بأنها تتم في إطار أحداث متكررة، بل قد تصل في بعض الأحيان إلى أن تكون دورية، وذات إيقاع رتيب، ولكنها تشكل حياة الأفراد وواقعهم الاجتماعي.
- تتم علاقات الحياة اليومية في أماكن محددة ومتنوعة ترتبط بحياة الأفراد

=المماليك، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب – جامعة القاهرة، 1954 : 80.

– عباس حلمى كامل، تطور المسكن المصرى الإسلامى من الفتح العربى حتى الفتح العثمانى، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار – جامعة القاهرة، 1968: 141.

الفاعلين، مثل المنزل، والشارع، وأماكن العمل، ودار العبادة، وترتبط هذه الأماكن بالأحداث المتكررة للحياة اليومية.

- تتم علاقات الحياة اليومية في مدة زمنية معينة قد تطول أو تقصر تبعاً للحدث الاجتماعي الذي تتم فيه، فربما يكون الحدث لقاء الأصدقاء بالمقهى، أو زيارة اجتماعية لمريض، أو حفل زفاف.

- على الرغم من أن علاقات الحياة اليومية تتم في مجال مكاني وزماني محددين، ومرتبطين بأحداث بعينها، إلا أنها تمارس بتلقائية حيث العادات الفردية والتصرفات الروتينية.

- تشكل علاقات الحياة اليومية بمواقفها المتنوعة البيئة الاجتماعية للأحداث، التي تتم في نطاق أو مجال اجتماعي معين مثل الأسرة، والعمل، والاستهلاك، والترفيه، وقضاء وقت الفراغ، والتعليم ...الخ، وهي المجالات التي يتجول فيها الناس باستمرار، والتي يدخلونها ويغادرونها كل يوم، أو كل أسبوع، أو كل مدة زمنية أطول.

- يرتبط كل مجال اجتماعي بمجموعة من الطقوس والممارسات التي تتغير بتغير المجال، والتي تضم في محتواها اللغة والألفاظ، والعواطف، ونبرة الصوت، وتعبيرات الوجه، التي تتغير تبعاً لعلاقات التفاعل داخل المجال مثل: المشاحنات والنزاع، الجد والمزاح، الحب والكره، والتعاون والتنافس.

وقد أظهرت نتائج الدراسة الميدانية أثر الخصائص الايكولوجية لمجتمع البحث على تشكيل واقع الحياة اليومية وتفاعلاتها، حيث يؤثر في ذلك موقع المنازل وتلاصقها وقرب النوافذ ومداخل البيوت، هذا إلى جانب مدة إقامة الأفراد في مجتمع البحث ويشكل ذلك منظومة من علاقات التفاعل عبر المستويات السابقة الذكر.

وعلى مستوى العلاقات داخل الأسرة فقد كان لنمط السكن آثاره الواضحة في التفاعل الاجتماعي، حيث كان لنمط السكن الشرك دور في علاقات الحياة اليومية إذ يقل فيها عامل الخصوصية وتتاح فرصة أكبر للوقوف على تفاصيل الحياة اليومية للآخرين المقيمين بنفس السكن.

وعلى مستوى التفاعل الاجتماعي في نطاق الجيرة، كان لموقع المسكن قرباً أوبعداً أثره على العلاقات بين الجيران وعلى مظاهر التضامن الاجتماعي فيما بينهم والتى تظهر في مواقف التفاعل المختلفة، والتي تعد إحدى السمات المميزة للعلاقات في مجتمع البحث سواء داخل السكن المستقل أو الشرك، فتساعد

إيكولوجية الحارة وخصوصيتها من تلاصق المباني وضيق الوحدات السكنية على زيادة مظاهر التفاعل بين الأفراد.

ولا يقتصر تأثير العامل الايكولوجي عند هذا الحد؛ بل كان له تأثيره أيضاً في تحديد مجالات الترفيه لسكان الحارة – والذي يعكس أحد جوانب خصوصيتها – حيث تستخدم أسطح المنازل ومناورها، وعتباتها وأحواشها ومداخلها كأماكن للقاء الجيران والأصدقاء وقضاء أوقات الفراغ. كما كان لهذا التقارب والتفاعل أثره على انتشار المحاكاة وحب التقليد فيما بينهم، بالإضافة إلى بعض الصور السلبية المصاحبة لهذا الشكل المكثف من التفاعل، مثل النزاعات التي تنشأ بينهم والتي تظهر خلالها تفاصيل الحياة اليومية وخصوصيتها.

وقد أظهرت الدراسة الميدانية أن علاقات التفاعل لا تتنوع في إطار الحياة اليومية التكرارية فقط؛ ولكن تظهر أيضاً في مجالات تفاعل سنوية ترتبط بمناسبات خاصة كالأعياد والمناسبات، مثل شهر رمضان والعيدين، حيث يرتبط الأفراد بمنظومة من العلاقات تشمل زيادة التردد على المساجد في شهر رمضان، وتبادل الزيارات، والصور المختلفة للتعاون بين الأقارب والجيران في المناسبات المختلفة.

وفي ضوء نتائج الدراسة يمكن التنبوء بأن علاقات الجيرة ستظل باقية طالما بقيت مقوماتها المرتبطة بطبيعة المجتمع من حيث القرب المكاني وتلاصق المنازل ومواجهة النوافذ وضيق الحارات والأزقة الذي يساعد على مزيد من التفاعل والعلاقات اليومية.

قائمة المراجع:

1. أحمد زايد: علاقات الحياة اليومية في المجتمع المصري، القاهرة، دار المعارف الجامعية، 1994م.
2. أحمد زايد وآخرون: التغير الاجتماعي والطبقة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية، 2000م.
3. أحمد فكري: معايدة القاهرة ومدارسها، الجزء الأول، المصور القاهرية، دار المعارف بمصر، 1965م.
4. إدوارد وليم لين: المصريون المحدثون: شمائلهم وعاداتهم، ترجمة على الجارم ومحمد أحمد مكية، مطبوعات القاهرة، الطبعة الأولى، 1991م.
5. تقي الدين أحمد بن علي المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة، أربعة أجزاء، مطبعة لجنة التأليف، 1934م.
6. جامعة القاهرة: ندوة الحياة اليومية للقاهرة في العصر الإسلامي، مدينة 6 أكتوبر، ندوة علمية غير منشورة، 2000م.
7. جيمس هنري بريستد: فجر الضمير، ترجمة سليم حسن، مراجعة أحمد فخري، الجزء الأول، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر، 1949م.
8. حسن حنفي عبد الغني: دراسة أنثروبولوجية لبعض العلاقات الاجتماعية والثقافية في المجتمع المحلي بمدينة المنصورة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، إشراف أحمد علواني، 1985م.
9. حسن عاشور: أثر الثقافة، القاهرة، 1961م.
10. حسين عبد القادر: دراسة في الحياة الاجتماعية في مصر على عهد سلاطين المماليك، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1954م.
11. خالد أبو شادي: مجموعة مقالات في علم الإنسان: الحضارة والمجتمع والثقافة الأنثروبولوجية، ترجمة مجموعة من أساتذة علم الاجتماع، إشراف محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، القاهرة، 2009م.
12. دينا سامي عفيفي: تطور المسكن المصري الإسلامي من القرن العشرين حتى القرن الحادي والعشرين، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار - جامعة القاهرة، 2008م.
13. رجب الباسط عبد المعطي: "الحياة اليومية على رصيف شارع مصري – دراسة في الهوية الثقافية وتقوية الوعي الأمني"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مكتبة الأسرة، 2000م.

26. **E. Goffman,** 1997. *The Goffman Reader*, Edited by C. Lemert and A. Branaman, Oxford: Blackwell.

27. El-Sufy, Mohamed, 1980. *Fatimid Harah – El Darb El-Asfar*, (M.I.T–M.S.C).

28. **Giddens, A.,** 1989. *Sociology*, Polity press, Cambridge.

29. **H. Garfinkel,** 2002. *Ethno methodology's Program, Edited by Ann Rawls, Boston.*

30. **J. Alexander, B. Giesen and J. Mast,** 2006. Social Performance, Cambridge: University Press.

31. **Meinecke, M.,** 1980. *Islamic Cairo: Architectural Conservation and Urban Development of the Historic Center*. Proceedings of a Seminar Organized by the Goethe Institute, Cairo, October 1978, DAIK, Art and Archaeology research Papers.

32. **Pioter Sztompka,** 2008. *The Focus on Everyday Life: A New Turn in Sociology,* European Review, Vol. 16, No. 1, pp: 23-37, Academia Europe, printed in the United Kingdom.

33. **T. Bennett and D. Watson,** 2002. *Understanding Everyday Life*, Oxford: Blackwell.